قصص وحكايات الفوارس

الملك ابن الراعي

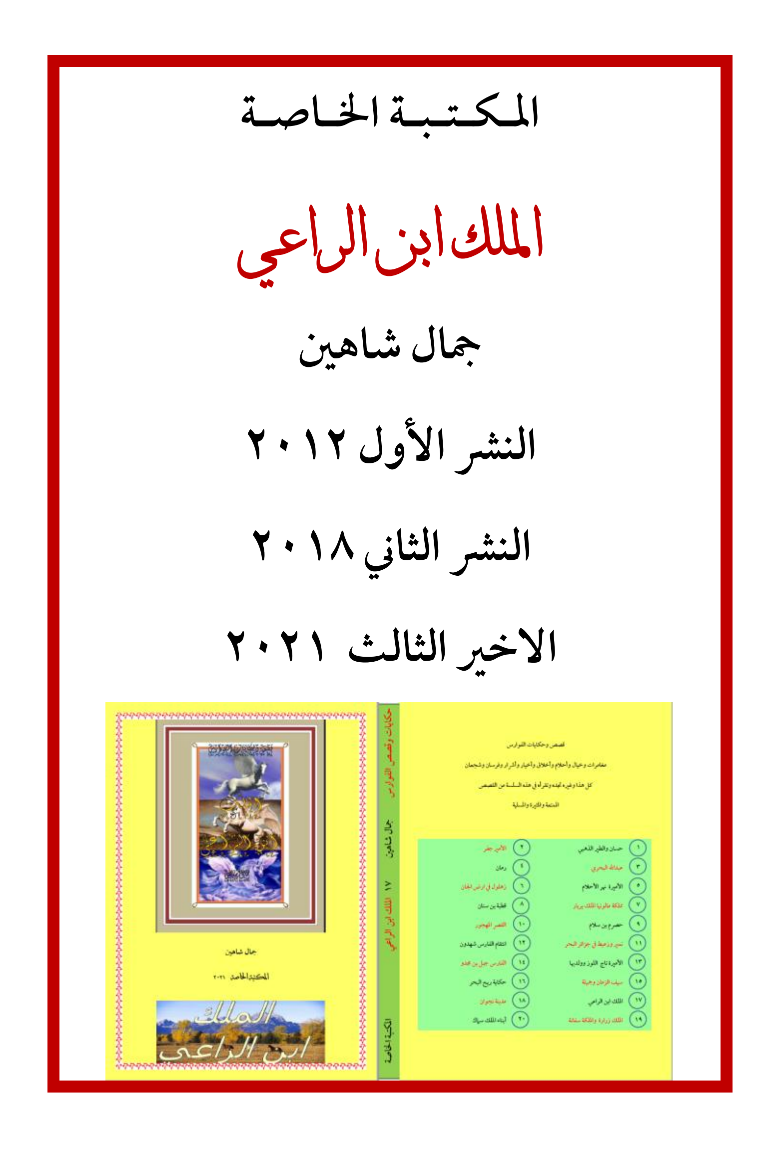
جمال شاهين

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١



بسم الله الرحمن الرحيم



جمال شاهين





تزوج الملك مطر أميرة

رغب شقيقه طل بالزواج منها

فتآمر عليه واغتالوه عند غدير الدم

فتركت الأميرة طفلها للراعي جدي ليرعاه حتى يكبر

فرباه ولما شب ظهر لأمه

وسعى لقتل الملك الغادر

ثم نصب ملكا وغزا بلاد القاتل

وانتقم منهم

ولدغته أفعى فعين ابن الراعي جدي ملكا على المدينة

حكاية مثيرة وممتعة الملك ابن الراعي

وتعرف على مطاردة سرياني رجل الملك شجاع


الملك
ابن الراعي

الملك مطر

فُتح باب القصر للأمير طل ، ولما دخل من الباب أخذ أحد الخدم الجواد للاصطبل بعد أن نزل الأمير عنه ، وكان يبدو للحرس والخدم والناظر أن الأمير شديد الغضب ، وفي حالة غضب وثورة ، وكان خادم آخر أعلم سيد القصر بمجيء الأمير طل لمقابلته ، فالتقى الرجلان في منتصف الدرب ، فرحب سيد القصر بزائره قائلا : أهلا بابن أختي الأمير طل .. يا مرحبا بكم .. مالي أراك غاضبا ؟!

قال الأمير بصوت ثائر : يا خال أريد رؤية الأميرة سيرة حالا .

هتف المنادى بالخال الأمير الشيخ : ويحك! تريد الكلام معها في مثل هذه الأيام .. ألا ترى كل هذه العيون ؟!

"نعم ، عندي كلام خاص بيني وبين الأميرة .. أرجو أن تسمح لي بذلك "

احتار الأمير الشيخ بالجواب ، ثم حسم تردده فالتفت لأحد الخدم الذين بين يديه " خذ سيدك للأميرة سيرة ، لابد أنها تحت إحدى الخمائل "، ولوح بيده إلى أحد الأماكن في حدائق القصر ، ثم استدار داخلا للقصر ، وقد كانت حليلته ترقب القوم عند الباب الداخلي ، فلما سار بجوارها ، وقد أحمر وجهه ضيقا فقالت بصوت واهن " ماذا يريد الأمير طل ؟!"

"يريد لقاء الأميرة سيرة .. وهو يعلم حق العلم أن الملك شقيقه خاطبني بشأنها .. وأنا أعلم أن بينهما بعض اللطف ؛ ولكنها لم تفكر به كزوج .. وأنا اليوم أرى النار تحت الرماد يا أم العماد"

قالت بوجل وقلق "منذ هلك الملك همام الرعاد ، والبلاد تشهد صراعا يثور ويكمن .. ربنا يستر"

" نعم ، ربنا يستر يا أم العماد ، فالملك ساخط جدا على شقيقه طل ، ويزعم أنه يراسل ملوكا لخلعه أو اغتياله ؛ ولذلك يريد أن يستفزه بالزواج من ابنتنا سيرة .. وأنا لا أستطيع رفض طلب الملك مطر .. "

"وهو في الحق خير لها ، وخير للبلاد والعباد من الأمير طل "

تنهد عميقا وقال: " إنهم أولاد أختي وأبناء الملك الهالك ابن العم "

فلما وصلا للكراسي الموجودة في البهو الكبير جلسا وقال الأمير الشيخ : الملك مطر يعلم هوى الأمير بالأميرة سيرة ، قلت له إن أختها كاملة جميلة .. قال "أريد سيرة حليلة لي " وكأنه أدرك مغزى الإشارة لأختها فقلت " سأفكر أنا وزوجي والبنت ".. فتذكرت حينئذ أن لا أولاد ذكور لي فدمعت العيون .. وتذكرت مهلكهم جميعهم .

همست : البركة يا سيدي في أبنائهم .

ـ ولكنهم صغار يا أم العماد .. من أمس وأنا أفكر بالحديث مع سيرة برغبة الملك .. وها هو الشقيق الأصغر جاء ليتحدث معها في نفس الأمر ، فقد كان راغبا بالزواج منها أيام حياة أبيه الملك الرعاد ، فقلت له حدث أباك برغبتك ، " فقال يا خالي النفس تهواها ، ولكنها هي مترددة غير متحمسة لي" ، فلزمت الصمت .. لو حدث هذا الزواج في عهد الملك الرعاد ، لما حدث هذا الصراع على البنت .

فقالت الأميرة: كان ابن أختك هذا هواه مع سيرة ابنتا ، وعقله مع ابنة الوزير بدر الزمان.. الوزير سيوصله لتخت الملك والعرش.. وها هو أخوه مطر سبقه إليها وتزوجها قبل وفاة الملك بأيام .. ووصل مطر للتاج بمشاورة الوزير والقادة.

رحبت الأميرة سيرة بالفارس طل ابن عمتها ، وشقيق الملك مطر ، فطلب منها صرف شقيقتها الصغرى والجواري ، فانصرفت الأميرة كاملة للقصر أو خميلة أخرى تصحبها خادمتها ، وابتعدت كذلك جواري سيرة بحيث يرينها ، ولا يسمعن حديثهما ، فلما عاد الصمت للمكان ، وقد كان الأميران يتبادلان النظر فقالت الأميرة : نعم ، ماذا يريد الأمير ؟!

قال بحدة واضحة في صوته : الملك يريدك زوجة .. هكذا كلم أباك ليلة أمس .. أقال لك خالي الأمير شيئا ؟

هزت رأسها بالنفي ، ثم أكدته بالقول : لم نجتمع بعد.. ولكني عرفت من الجواري والخدم .

ـ أنا أريدك يا سيرة حليلة دون أخي الملك .

تنهدت الأميرة الشابة وقالت : والملك !

ـ سأعترف له بحبي لك .

ـ وهل يصدق ؟! فقد رفضت عرض أبي وشاع ذلك .. وتطلعت إلى الأميرة بدر قبل وفاة أبيك الملك .

ـ كنت أفكر فيها كزواج مصلحة يا سيرة .. أنت تعلمين أنني أحبك وميلي لك

ـ لا أنكر هذا الميل .. ملت لي قديما .. ولم تر الزواج مني ذا فائدة لك .. وهمسك به دفع الكثير من الشبان للابتعاد عن طلب يدي.. وضعتني على الاحتياط .. أرجو أن لا تنسى هذا .

ـ تريدون الزواج من الملك ؟ .. فأنت تريدين أن تكوني ندا لابنة الوزير الأميرة بدر !

ـ لم أتخذ قرارا ، ولم يخطبني الملك لاتخذ القرار أيها الأمير .

قال بحزم وشدة : لن أقبل الكلام هذا.. أنت لي شئت أم أبيت .. صحيح أنني ترددت في الزواج منك .. كانت عيني على التاج قبل النساء .. كنت أريد أن أكون أنا الملك .. ارفضي ستكونين ملكة معي .

ـ اسمع إذا طلبني الملك كما تقول ، لا أستطيع أنا ولا أبي الرفض ، وأنت تعلم هذا .. فالرفض معناه إهانة للملك .. والإهانة مصيرها السجن أو الموت .

ـ مهما يكن من تخوف لديك ، ولو قلت لا سينتهي الأمر .

ـ بل سيغضب ، وأنت أعلم الخلق بغضب الملك وقد خبرته، ولولا شفاعة القادة لك لربما أنت اليوم تحت الثرى يا طل .

ـ أنت لي يا سيرة .. لا أريد أن أخسر كل شيء .. فإذا تزوجت الملك مطرا ، وصرت ملكا ، ستكونين خادمة لنساء الملك طل .. سأسترقك ولا أقبل شفاعة أحد فيك أبدا.

ـ أهذا هو الحب الذي تزعمه لي ؟! استرقاق

ـ هذا ما عندي .. ولسوف أصير ملكا رغم أنف الجميع .. لن تطول .. به الحياة .. لقد اتخذته

عدوا .. إنني اكرهه ، وأحقد عليه الحقد كله .. سيموت أحدنا .. سلمي على خالي

ـ أنا أعرف عظم حقدك يا أمير طل منذ عهد بعيد .. تأكد أن الأمر كله بيد أخيك الملك وبيدك ، لا بيدي ويد أبي ، تحدث مع شقيقك.. هل يستطيع أبي الشيخ أن يرفض طلب الملك وهو خال الملك؟! .. وهل يصدق الملك أنني أرفضه ؟! فإذا كنت محبا لي كما تزعم دافع عن حبك أمام الملك ليس أمامي.. عندما كلمك خالك في شأني قلت تمهل يا خال نحن مقدمون على أيام عصيبة .. كنت أنت وأخاك تتنافسون أو تتصارعون على التاج حتى مات الملك الرعاد دون أن يختار أحدكما لاعتلاء عرش المدينة .

ـ أبوك لم يكن معه سلطة لأستقوي به في معركة العرش .. أبوك ضعيف .. ومعركتنا لم يكن فيها محل للجبناء .. فيها قتال وموت

ـ أبي فارس عظيم ! ولكنه كبير في السن .. كان خالك من سادة الفرسان في المدينة

ـ كان ، ولكنه اليوم شيخ هرم ربما لا يثبت على الجواد .

ـ وهو ابن عم الملك الرعاد .. أنت تحملنا فوق طاقتنا يا أمير طل .. تصالح مع أخيك .. تفاهموا على إدارة المدينة..

ـ لا داعي للنصائح .. أحببتك يا سيرة.. ولنتزوج قريبا ، ولو خفية ، كوني معي ، وستكونين ملكة

ـ ماذا أفعل؟! إذا رفضته ، سيهدر دمك الملك ودمنا جميعنا

ـ لديّ من الفرسان الكثير.. ووقت خلع الملك لم يحن بعد ، وإنما هو قريب .



نودي في المدينة خطبة الملك مطر للأميرة سيرة بنت غزال ، وأخذت المدينة تتزين وتستعد لهذا

الزواج ، وغضب الوزير من فعلة الملك ، وطلب الإعفاء من الوزارة احتجاجا على هذا النكاح المفاجئ له ولابنته ، والملك لم يشاوره في هذه الزيجة ، وأظهر الملك عدم اهتمامه بهذا الضغط من قبل الوزير فخاطبه بقوله: هل الزواج على ابنة الوزير حرام ؟

قال الوزير بضيق بين : ليس حرام يا مولاي الملك .. وإنما زواج الملوك ليس كزواج السوقة .. ابنتي لم تلد بعد حتى تتزوج عليها .. يظهر أنك نسيت الجهد الذي بذلناه ؛ لتكون ملك المدينة والعباد دون أخيك طل .

قال الملك متصنعا الصبر: أنا لا أنكر أن زواجي من الأميرة بدر الزمان دفعك لتقف في صفي لأكون ملكا ، ثم لتصير ابنتك ملكة عندما تلد الذكر .. ولكن لها أكثر من سنة في قصرنا ولم تلد .. وأنت تعلم أيها الوزير أن ملكي سيبقيك وزيرا كما كنت لأبي الملك .. فالأمير طل يكرهك ، ويكره كل قبيلتك ، فمن مصلحتك قبل مصلحتي أن أكون ملكا .. إياك أن تنكر هذا .. لست غرا أيها الوزير .. وإذا كنت ترهب أن تلد الأميرة سيرة قبل ابنتك ولي العهد .. فهذا أمره إلى الله تعالى .. وليس ضرورة أن يكون البكر وليا للعهد .. فكر أيها الوزير ، ولا تتعجل بترك الوزارة .. فالكثير يشتهيها .

ـ ولماذا اخترت سيرة بنت غزال دون بنات الأمراء ..ألأنه عدو لي ولأسرتي ؟!

ـ لم أنظر هكذا يا وزيرنا .. أنا اخترتها لأنني لا أريدها لطل فقط

فكر الوزير قليلا وسأل: ولماذا كل هذه العداوة لطل ألأنه نافسك على اعتلاء سدة الحكم ؟!

اغتصب الملك بسمة سطحية ورد : هذا أحد الأسباب .. والأهم أنا لي هوى في ابنة خالي .

ـ ولماذا لم تنكحها في حياة أبيك؟! لأنك لن تصل للتاج لو تزوجت منها.. فتزوجت ابنة الوزير بهلوز لتصل للتاج .. دعني أقر لك بالذكاء والفطنة يا ملك مطر .. ولكنك تجهل قوة أخيك وحقده .

ـ لا يجب عليّ أن أنسى حقده وحسده وبغضه لي .. فهو يعتبرني الابن المدلل لأبي .. وأعلم أيها الوزير أن أبي الرعاد اكتشف تآمره على حياته قبل سنوات

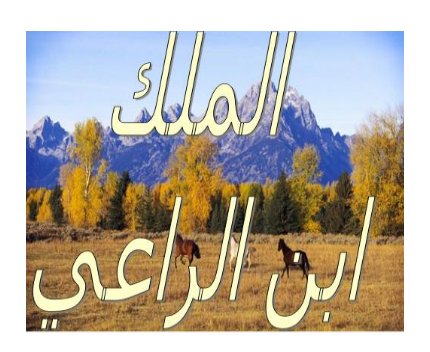
تظاهر الوزير بالدهشة وهتف : أكان يريد اغتيال الملك الكبير ؟!

ـ أجل أيها الوزير، وإن لم يشهر الأمر .. واعتبر فعله عارا كبيرا.. ونفاه بضع سنين .. ولولا توسلات أمي الملكة لما سمح له بالعودة للمدينة .

ـ كنت أظن أن ذلك تبريرا من الملك لنفيه .

ـ لقد كانت المحاولة الغادرة حقيقية .. وقتل فيها اثنان من الحرس المتآمر واعدموا في إحدى الغابات .. أراد أبي الملك كتم الأمر عن الجميع .. فهذا أول مرة يحدث أن يتآمر ابن على أبيه في تاريخ أسرتنا .. وأخي حي يرزق تستطيع أن تسأله عن صحة ما أخبرتك به الآن .. فكر جيدا بأمر وزارتك .. فالطامعون فيها كثيرون

ـ لا أريدها يا مولاي! كبرت سني ووهن عظمي .. ومكثت فيها طويلا .



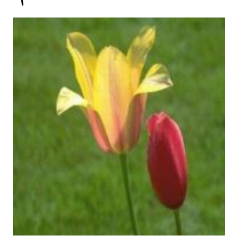
هجرة الوزير

قد مضت أيام ثلاث ولم يصعد الوزير بهلوز ديوان الملك ، فحنق عليه السلطان مطر ، وأعلن خاله غزالا وزيرا للبلاد ، فضاقت وغضبت ابنة الوزير الأميرة بدر لعزل أبيها ، وطلبت الانفصال فلبى الملك رغبتها سريعا ، وسرع بزواجه من الأميرة سيرة ، وكان ذلك في ظروف غاضبة عاصفة .. وأثناء الاحتفال بالزواج خرج خفية من المدينة الأمير طل حانقا غاضبا ، وتضايق الملك من هروبه ولام الرجال الذين وضعهم لمنعه من الهرب بحجة حمايته .. ولكن الأمير لما أعلنت الخطبة في المدينة رتب مع أعوانه أمر الاختفاء ، فلما تيقن للملك هرب شقيقه من المدينة أمر بمصادرة أمواله وقصره وبيع خدمه وعبيده ، ثم جاء الخبر الصاعق باختفاء الوزير المعتزل بهلوز وابنته وسائر أسرته .. واضطربت المدينة مما دفع الملك لإجراء تغييرات في القادة والعرفاء والحراسات ، وساد شعور بأن البلاد مقبلة على صراع داخلي بين العباد .. فهم يعلمون أن للوزير قبيلة وأعوانا ، وأن لأخيه أيضا مناصرين وأعوانا .. فوزيره المعتزل قضى جل سنوات عمره وزيرا فهو قد ورث الوزارة عن أبيه .

ولكن الملك مع الوقت نسي المخاطر المحدقة بعرشه ، وكان يقضي أكثر وقته ـ بعدما أعاد ترتيب الأجناد والحرس والولاءات ـ بين قصر النساء حيث زوجته سيرة ، وبين وديان الصيد في أطراف المدينة ، واعتمد كثيرا على وزيره غزال وقائد الجيش الفهر في حكم وإدارة المدينة .

ولدت سيرة في السنة الأولى من زواجها مولودا ذكرا ، سعد به الملك والأصدقاء وسماه ضرغاما .. وخلال أسابيع من بعد الولادة توجت الأميرة ملكة على المدينة ؛ لأنها أنجبت الولد الذكر للملك .. وزاد حب الملك لها ، واتخذت مكانا في ديوان الحكم .. وهي قد ارتفع حبها للملك بعد ولادتها لولي العهد .. وأخذت تظهر بديوان وقصر الحكم أكثر من الملك لغرامه الثاني بالصيد في الصيف والشتاء .. وقد اختلطت بقادة وأمراء الحكم ، ووجد القوم أن الملكة قديرة على إدارة الأمور وفهم الناس .. كان مطرا سعيدا بها يسمع عن رجاحة عقلها وحبها للناس والأمة ، وإنها أعطته بفضل الله وريثا للعرش وامتدادا لعمره وحكمه .

قد اعتادت الملكة سيرة قبل زواجها أن تخرج لأطراف المدينة حيث المراعي الكثيرة والخصبة والممتدة ، حتى أن الرعاة من المدن المجاورة يترددون عليها في موسم الصيف والخريف.. فقد كانت تذهب لتلك المراعي صيفا وشتاء .. وكانت تذهب بصحبة جواريها ، فينصبن له عريشا تجلس بها وقتا يسيرا ، ثم تقفل عادة لقصر والدها قبل الغروب أو معه .. وخلال ترددها لتلك الجبال والغابات الخصبة كانت تلتقي برعاة من مدن أخرى ، تتسامر معهم وتعرف أخبار ملوكهم ومدنهم .. وتهديهم الطعام والفواكه ..وأحبها الرعاة للطفها وسماحها لهم بالجلوس معها .. وكان راع اسمه جدي من أفضل أصدقائها الرعاة ، وهو شاب دون الثلاثين ، وكان يفرح ويسر بقدومها ومصادفتها ، ويقدم لها وصحبتها اللبن وأحيانا اللحم المشوي .. ، ويُكن لها الاحترام والشكر والحب ويتكلم عنها بكل تقدير وإعجاب .. وهو راع لمدينة تبعد مسيرة يومين عن بلاد الملكة سيرة .. ولم يكن بين المدينة التي يعمل لأهلها راعيا ، ومدينة الملك مطر صراع وقتال ليخشى على نفسه وأغنام الناس الذين يرعى لهم .



ذكرنا صداقة الأميرة سيرة للراعي جدي لأهمية هذه الصداقة فيما بعد في سياق هذه الرواية .

وذكرنا أن الملك مطرا استقر له التاج ، واختفى الوزير بهلوز الذي ساعده في أن يكون ملكا دون أخيه لأن الملك الرعاد لم يعين خليفة له ، ولا وليا للعهد ، وقد تزوج مطر ابنة الوزير لتحقيق هذا المأرب .. وذكرنا اختفاء طل غاضبا حاقدا على شقيقه ، وكل من ساعده للبقاء ملكا وسيدا للمدينة الكبيرة ..

عاد الملك مطر لصيده وقنصه لما غمر الهدوء البلاد .. ولما توجت سيرة ملكة أصبحت هي التي تدير أمور المملكة برفقة والدها وقائد الجيش الفهر .. واستمرت حركة التجارة من المدينة وإلى خارجها دون عوائق.. ونعم الناس بفترة راحة وسكون ..

وكانت رحلات صيد الملك تقصر وتطول ، فأحيانا يخرجون لأماكن الصيد مع الفجر ويعودون مع هبوط الليل .. وتارة يبتعدون في صيدهم يوما كاملا أو أكثر ، ويصحبه في الصيد البعيد خواصه وأصدقاؤه قبل اعتلاء العرش ، ويصحبهم الطهاة والخدم والجواري للتسري .. فقد كان ساريا بين الأمراء التسري بالجواري ، ولا ترى فيه الأميرات والملكات غضاضة من قدرهنّ عند أزواجهنّ وأهليهنّ .. وكانوا يتجنبون ولادتهنّ .. فهم يأنفون أن يلدن لهم بنين وبنات ويستعرون من ذلك .

وكانوا يصحبهم في الرحلات الطويلة سوى فريق الصيد والكلاب المغنيات من الجواري ؛ ليقضوا سهرات ممتعة بعد عودتهم من مطاردة الظباء والوحوش في البراري والغابات .. ولقد كان من الأماكن المفضلة لصيد الملك غدير يسمى غدير الدم ، زعموا أنه سمي بذلك الاسم لمقتل عدد كثير من الناس عنده قبل عشرات السنين .. وهو يبعد عن بلاد الملك مطر مسيرة أربعة أيام .. فكان الملك يطيب له الصيد عنده قبل تملكه العرش ؛ لأنه محاط بغابات من جهة وصحراء قاحلة من جهة أخرى .. والغدير الغزيز بالماء بينهما .. وكانت الوحوش تزور مكان الغدير للشرب والاستراحة في ظلال أشجاره ومسيل مائه .

قضى الملك والحاشية عشرة أيام في تلك الأرض ، فصادوا وطاردوا وأكلوا وسمعوا الشعر والغناء ، واتفقوا على العودة خلال يومين أو ثلاثة .. فقد كان المكان جميلا وشهيا .

وكان في وسط الخيام والمعسكر الصغير خيمة كبيرة للسهر والسمر وأكل الشواء .. وقبل العودة والقفول سمع صوت نباح الكلاب بشدة ، واستمر النباح عاليا دون رؤية وحوش تقترب من الغدير .. وتحدث أحد الأمراء : أيعقل أن الصيد علم بموعد رحيلنا واقتربوا من الغدير لتهتاج الكلاب الصيادة ؟!

فقال آخر مجيبا أو مبررا : قد يكون صيادون يقتربون من المكان ، وهم زاحفون نحو الغدير ، فالكثير من أمراء وسادة الصيد يحبون هذا الغدير .. وهل هؤلاء أصدقاء أم أعداء ؟

فقال الملك : أو لا يعرف هؤلاء أننا نخيم هنا ؟!.. فلنا أكثر من عشر ليالي نرتع بخلينا

وكلابنا هنا .

فقال أحدهم : أنبعث طلائع أيها الملك ؟

فرد آخر : لم يبق إلا ساعات ، ونغادر المكان أيها السادة .. اقترب الفجر .. ألا تنامون ؟

ـ سوف ننام ، والكلاب لا تريد النوم ، ويزداد نباحها ..

ـ هل نوقظ المغنيات لإكمال السهرة حتى الفجر ؟

فقال الملك : لا داعي لذلك فقد تعبن أول الليل ..وإن قد يخففن عنا من نباح هذه الكلاب فليعد شاعرنا ينشد لنا أشعار الفوارس العرب

استدعي الشاعر من خيمته من جديد ، واخبروه برغبة الملك .. فعاد ينشد أشعارا لفارس الجاهلية عنتر بن شداد ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ودريد بن الصمة .. حتى غلب القوم النوم فانسل الشاعر إلى خيمته .. ونام الملك في خيمة السمر والطرب .

ولما هجم الفجر أحاطت بمعسكر الملك جنود إحدى المدن ، وقتلوا الكلاب والحراس ، وهجموا على المعسكر يفتكون بكل شخص وجدوه فيه .. ولم ينجُ من المذبحة سوى بضع جوار كن خرجن لقضاء الحاجة بعيدا عن المعسكر .. فلما سمعن الصياح والصراخ وصهيل الخيل أدركن أن خطرا داهم المعسكر فرعبن واختبئن حيث هنّ ، وشاهدن آثار المأساة القاتلة.. ولما أشرقت الشمس انسحب المهاجمون ، وقد استولوا على أموال المعسكر من خيل ودواب وسلاح ، ولما اختفوا تسللت الجواري للمعسكر المهدم .. ورأين بعض الجرحى يلفظون أنفاسهم الأخيرة ، ولم يستطعن تقديم شيء لهم .. ولما وصلن لخيمة الملك وجدنه مضرجا بدمه ، وقد قطع رأسه هو ومن معه في الخيمة الملكية .



إخفاء الأمير

وصلت رسالة من الأمير الهارب طل للوزير غزال يخطره فيها باغتيال الملك مطر وكل من كان معه في غدير الدم ، وأنه زاحف للبلاد لاستلام كرسي الحكم سلما أو حربا ، وعليهم الخضوع حقنا لمزيد من الدماء والقتلى .

صعق الوزير للخبر ، وأرسل الخطاب لقائد الجند الفهر ، فاسترجع القائد واستعاذ من الفتن وأرسل حملة إلى غدير الدم ، ولجلب الجثث خاصة جثة الملك

ولما علمت الملكة سيرة بالجريمة المرعبة أغمي عليها لهول الخبر ، ولما أفاقت من شدة الصدمة واستوعبت الكارثة أمرت خدمها بتجهيز جوادها ، وزعمت لهم أنها ذاهبة لقصر الحكم .. وخرجت من القصر ، وقد صحبت خفية طفلها الصغير الذي لم يبلغ سنتين .. ولم تذهب لديوان الحكم مباشرة إنما مشت نحو المراعي حتى وصلت إلى الراعي جدي وحسب خطة بينتها له.. فكلفته بأخذ الطفل ابنها ورعايته والمحافظة عليه والزعم أمام الناس بأنه ابنه .. وعليه أن يتزوج في إحدى القرى ويدعي للخلق أنه ترمل ، وتركت له الميتة ابنا ، فهو بحاجة للزواج .. ودفعت له صرة من المال والذهب ، ورسالة كتبتها لابنها إذا كبر .. ولما استوعب الشاب الراعي القضية .. تعهد لها بفعل ما طلبت منه ، وأن يرعى ابنها حق الرعاية ويفعل ما فصلته له ، وأقسم لها على ذلك ، وغادر المكان على أن لا يعود إليه قبل أن يشب الطفل .. وألا يكشف أمره للناس إلا عند موته وعند قدرة الطفل على تحمل المسؤولية .. وظلت تراقبه حتى غادر المكان بالطفل والأغنام .

ولما اختفى الراعي جدي قالت وهي تعود أدراجها " سلمت أمري لله .. حفظك الله يا ولدي يشهد ربي أنني لم أتخل عنك إنما حياتك في خطر شديد .. أنا أعرف الناس بعمك الخائن الغادر "

دخلت الديوان وجلست مع الأمراء والسادة ، تتقبل تعازيهم ومواساتهم ، وهم يعتقدون أنها أقبلت من قصرها بعد أن هدأت نفسها ، ودار الحديث حول رسالة التهديد المرسلة من طل .

أحضرت الجثث بعد أيام ، ووصلت معها الجواري الناجيات ، وتحدثن عن فظاعة الحادثة والجريمة الغادرة ، وإن جنود إحدى المدن هم الذين قاموا بالغدر بمعسكر صيد الملك مطر في آخر الليل .. وصدمت الملكة والأمراء بالجريمة من جديد .. وارتفع البكاء بين النساء والرجال ، وزاد التوتر والاضطراب والسخط ، واشتد الغضب على الأمير طل .. وتعهد عدد من الفرسان بقتله والانتهاء منه .. وأعلن استمرار الحداد.. وصمم الأمير الفهر على القتال حتى الانتقام والثأر للأمراء وعلى رأسهم الملك البطل مطر .

دفن الملك في مشهد حزين باك حيث دفن آباؤه وأجداده ، وأخذ قائد الحرب يستعد لملاقاة الأمير طل ومنعه من الاستيلاء على كرسي الحكم .

وورد لهم خطاب آخر يخبرهم فيه أنه أصبح على طرف البلاد بجيش عرمرم يقوده (الملك شجاع) وعليهم الاستماع لصوت العقل أو الحرب .

فقال قائد الجيش الفهر : علينا أن ننصب ابن الملك ملكا للبلاد .

فقال غزال : إنه وليد رضيع أيها القائد !

ـ أعلم هذا ، ننصبه ملكا ليلتف الناس حوله ، ونشكل مجلس حكم نائبا عنه لإدارة المعركة .. لأننا لو وضعنا سيدا من غير أبناء الملوك قد يفترق الناس عنا ويضعف حماسهم لتحمل تبعات الحرب والدماء .. والملك كما تعلمون لم ينجب إلا من الملكة سيرة ابنهم ضرغام .. وملكنا الرعاد لم يترك لنا إلا الملك المقتول مطر والأمير طل ..

فاقترح أحدهم تنصيب عم الملك مطر الأمير "سباق".. ولما احضروه للمشورة اعتذر بكبر سنه ، وعدم رغبته بهذا المنصب .. وبعد تشاور جديد رأوا الأخذ بكلام قائد الحرب الأمير فهر .. ولما ذهبوا لقصر النساء علموا أن الأمير قد اختفى منذ أيام .. وأنهم يشكون بأن إحدى الجواري الخاضعات للأمير طل هربت به .. وبحثوا عنه دون فائدة .. واستغرب غزال ذلك ، وتحدث مع الملكة سيرة عن صمتها بالإخبار عن اختفاء وليدها .. فقالت بغموض : لما نقل لي خادمك خبر الفاجعة أغمي علي لساعات ، ولما أفقت جئت للديوان ، ولما عدت أخبرت

باختفاء الأمير ، فبكيت كما تبكي النساء على فقد ابنها .. ووجدت جارية قد اختفت

ـ لم يفعلها إلا طل حتى يسلم له العرش .. عوضك الله خيرا .. مصيبتك بالملك أصعب من ضرغام .

وشاع الخبر أن الأمير طل وراء الخطف للأمير بمساعدة الجارية المختفية .. وأنه الآن في عداد الموتى .. وشاع أيضا أن الملكة سيرة أخفته في مكان سري خشية على حياته .. كثرت الإشاعات .. لأن الجارية التي أشيع هربها به .. قتلت في حادثة غدير الدم.. ولم يهتم الأمراء بقضية اختفاء ضرغام لهول مصيبة مصرع الملك ، وانشغالهم بالحرب القادمة .. وبعد تفكير جديد ألزموا الوزير غزالا خال الملك وابن عم الملك الرعاد ملكا على البلاد لحين انتهاء القتال والانتقام .

وأخذت الرسل تتردد بين الأمير القاتل ، وقادة المدينة ، وجرت بينهم معارك لم تحسم الأمر لأحد الفريقين.. ثم استعان طل مرة أخرى بجيش أحد المدن لمؤازرته مقابل أموال سيدفعها لهم بعد النصر .. واستطاع بمساعدتها السيطرة على البلاد وأن يعلن نفسه ملكا بالقوة والغصب ، وقد اضطر سادة المدينة التفاوض والاستسلام وطلب الأمان من الملك الحليف شجاع .. لعجزهم عن الدفاع عن مدينتهم أمام تكالب الخصوم .. وكانت المفاجأة لأهل المدينة عودة الوزير الهارب بهلوز وابنته بدر للمدينة متحالفين مع الملك طل .. ثم إشهار زواجهم بعد أيام من استلامهم الحكم .. وعادت سيرة لبيت والدها ، وقد حصلت مثل سادة المدينة الآخرين على الأمان من الملك شجاع .. وتفاجأ الملك طل بضياع ابن أخيه يوم مصرع أبيه أو بعده بأيام .. وأنه المتهم بخطفه ، لم يعر القضية اهتماما كثيرا ، وبعد وقت يسير نسي الطفل المفقود.

الراعي جدي

تربع الأمير طل ملكا على البلاد بعد تحالفه مع الملك شجاع ، وقد حالفه الوزير بهلوز ، وتزوج الملك من ابنته التي طلقها أخوه المقتول .

انزوى الوزير غزال في قصره مع ابنته سيرة وكاملة التي كانت تزوجت من أحد الأمراء بعد زواج الملك من شقيقتها ، وأحفاده من أبنائه الذي ماتوا قبل أحداث هذه السيرة ، .. نتركهم يعيشون حياتهم ونتحرك إلى الطفل الرضيع ضرغام والراعي جدي .. وابتعد كثيرا عن مدينة الملكة سيرة .. ووصل أطراف إحدى المدن ، واتصل ببعض الرعيان الذين يعرفهم في أيامه الماضية ، وأخبرهم أنه ترمل، وتركت له زوجته رضيعا ، فيسعى للنكاح من أخرى من أجل ابنه الرضيع .. فتطوع أحد الرعاة إلى إرشاده إلى رجل فقير الحال ، لديه صبايا يصلحن للزواج .. وساقه إلى تلك القرية التي يعرفها ، ورحب بهم الفلاح الفقير ، ولما فهم الغاية من مجيئهم إليه ازداد سرورا بهم ، وقد أشفق على الطفل الذي ماتت أمه ، وتحمس لتزويج إحدى كريماته للراعي جدي ، وعرض الرجل المزارع الأمر على بناته ، فقبلت به فتاة اسمها " جديلة " .. وتزوجها على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .. وتقبلت جديلة الطفل بصدر رحب وحنان فياض.

وتركها الراعي بعد حين لرد الأغنام لأصحابها ؛ ليعود للبقاء معها في تلك القرية .. وكان له عدد من الأغنام تجمعت له خلال سنوات الرعي ، فتركها عندها وعند والدها وأشقائها حتى يعيد الأغنام لأهلها .. فغاب أشهرا وهو يفرقها على أصحابها .. ولما رجع عاد بقطيع منها ، وهبه إياه أصحاب تلك الأغنام الذين اثنوا على أمانته وحسن خدمته لإنعامهم.. ولما دخل القرية وجد امرأته قد وضعت له طفلا ، فغمرته السعادة ، فسماه محسنا ، فهو قد أصبح والدا حقيقيا .. واشتغل بالزراعة ورعي غنيماته .. ومع الوقت أصبح من أهل القرية .. وولدت له جديلة طفلة سماها سيرة على عجب من زوجته وأهل القرية ، فهذا اسم غير شائع في قريتهم والقرى التي حولها .. فظنوا أنه اسم لأمه أو قريبة له .. وظنت زوجته أنه اسم أم الطفل وليد

ولما بلغ الطفل خمس سنوات تعلق بحب الخيل .. وركوبها .. فعجب جدي لهذه المحبة ، واشترى له فلوا صغيرا من أحد رجال القرية الذين لهم عناية بالخيل .. ففرح به وليد ومحسن ، وهجروا اللعب على الحمار الصغير .. وكان وليد محبا لأخويه حبا كبيرا رغم صغره .. فلما رأى الجدي حب الولدين للفروسية أرسلها للمدينة للتدرب في مدارس الفرسان .. فتكفل بهما المدرب نهمان بن زولان ، وهو من أهالي القرية قبل الرحيل للمدينة والعمل مع جند الملك فلما كبر سنه ففتح مدرسة لتدريب الفرسان .

وأخذ يربيهم ويدربهم مع فتيان المدرسة .. فتعلما ركوب الخيل بشكل جيد ومقبول بالنسبة لسنهما الصغيرة.. وعلمهم قبض السيف والرمح واللعب بهما .. وقضى ولدا جدي أربع سنوات في التردد على المدينة في التعليم والتدريب حتى بلغا خمسة عشر عاما.. فعادا للقرية للاستقرار الدائم ، وأصبح لكل واحد منهم جواد .. فكانا يقضيان يومهما في المسابقة على الجواد ، واللعب بالسيف والطعن بالرمح ، واشتد عودهما وعضلاتهما .. وأحبا الصيد في أطراف القرية كسائر الفرسان الذين يعشقون الصيد ومطاردة الطير والوحش .. وأثناء وجودهما في المدينة تعلما بعض الكتابة والقراءة .. ولما بلغ جدي الخمسين سنة بقليل ، ووليد عشرين سنة .. شعر بأن الوقت قد دنا لاطلاع وليد على سر مولده .. فتشاور مع زوجته جديلة وكشف لها السر الخطير ، فدهشت الفتاة لهذا السر الخطير ، وعجبت أن ربت ابن ملك في حضنها وبيتها .. وبعد هذه الاعتراف الخطير بسنة مات الراعي جدي ، وحزن عليه القوم ، وذرفت جديلة الدمع على بعلها الذي قضت بصحبته أكثر من عشرين سنة .



أخبر وليد زوجة أبيه جديلة أن والدها يحثه على الزواج ، وقد كرر ذلك مرات فقالت له : وأنت أراغب بالنكاح ؟

فقال : إني حائر يا أمي ! لا أدري لماذا يضيق صدري عند ذكر الزواج ؟! ولا أجد تعليلا لذلك ! مع أن ذلك مهوى الشباب والفتيان من قبل هذا السن .

قالت : أحب يا ولدي أن أراك زوجا ؛ ولكن والدك كان يحمل لك سرا كبيرا.. هل تستطيع يا ولدي أن تحمله أم أنساه ؟

ـ لم أفهم يا أمي ؟!

ـ حملني زوجي قبل موته سرا وحملا ثقيلا لك ..أتحب أن تسمعه أم تصبر لحين آخر ؟

ـ شغلتي قلبي وفؤادي يا أماه !

ـ حسنا ، يا ولدي يبدو أن الوقت حان لأكشفه لك .. لتجري حياتك بها تختار ويقدر لك .. غدا سأخرج معك للمرعى لنتكلم في الخلاء .. كن في المرعى وسألحق بك بالزاد ..

ـ الخطب كبير يا أماه !

ـ نعم ، بل كبير جدا .. أمانة تركها في عنقي زوجي جدي .. كن رجلا يا وليد .. فأنت اليوم أهل لتحمل الأخطار والأعباء.. وبعد معرفة السر العظيم المحيط بك تفكر بالزواج بقوة .. أريد أن يكون كلامنا في الفضاء الطلق .. سأرسل محسنا للمدينة غدا .. وسألقاك حيث تحب الرعي .. فمولدك يحمل خبرا هائلا .

نظر في وجه أمه قلقا وهمس : سر مولدي .. وهل لمولدي سر يا أماه ؟

ـ أجل ، غدا ستعرف المخفي يا ولدي .. اذهب ونم .. قبل رجوع محسن وسيرة من بيت خالها .. اذهب ستبدأ حياتك منذ سماع السر .

غادرت جديلة منام الأمير الذي يجهل أنه أمير وابن ملك ، مشت لحجرتها ، وهي مشغولة في الخطر الذي يخيم على ولدها وليد الذي احتضنه صغيرا ، واهتمت به وربته على أنه ابن لزوجها ، وفجأة وجدت نفسها قد ربت أميرا وابن ملك مات غدرا وغيلة .. فقال لها والدها الذي يعيش بجوارها .. وينام في بيتها بعد ترمله : أكنتم تتحدثون عن الزواج ؟

ـ مسكين ولدي وليد !.. أمامه حمل ثقيل يا أبتاه ؟

ـ مسكين كيف مسكين ؟!

ـ قريبا ستعلم لماذا هو مسكين؟ .. حدثني أنك ترغبه بالنكاح من بنات القرية

ـ ذكرت له ابنة شقيقك جمل .. فهي فتاة أهل للزواج والحمل .

ـ حمامة ؟ كنت أفكر بتزويجها لمحسن يا أبي فقد حدثتني أمها بذلك .. ومحسن يرفض الزواج قبل أخيه الأكبر .. غدا سيكون تغيير في مجرى حياة وليد .. وربما حياتنا كذلك يا أبي!

ـ أنت تخفين سرا خطيرا ؟

ـ أجل يا أبي .



أرسلت جديلة ابنها محسنا للمدينة ليبيع السمن والجبن واللبن لأهل المدينة ، ويبتاع لهم بعض المواد ، وهذا كان أمرا معتادا بين الحين والآخر .. وأحيانا يمر عليهم تجار لشراء هذه المواد .. وعند الظهيرة أخذت جديلة صرة طعام إلى المرعى الذي يرعى به وليد ومحسن عادة .. وهو قريب من أرض تملكها جدي ليزرعها بالحبوب والأشجار .. ووجدت وليدا متكئا عند شجرة وحوله أغنامهم .. رأته وهو ينظر في عنان السماء .. فلما اقتربت منه سلمت عليه ، وجلست قربه وفتحت له الصرة ، ودعته ليأكل طعامه وقالت : كل قبل سماع الكلام .

أخذ بالأكل ما أحضرت له زوج أبيه ، وهو صامت ، وكان متشوقا لمعرفة سر مولده والكلام الغامض الذي باحت به أم محسن ليلة أمس .. أكل بعض الطعام وتوقف عن الباقي ، وشرب ماء ، وأغلق صرة الأكل وقال : النار تشتعل في قلبي يا أمي !

ـ اعلم يا ولدي الحبيب .. أن زوجي جدي ليس بأبيك .

ـ أدركت ذلك ليلة أمس .. من يكون أبي ؟!

ـ أبوك يا وليد ملك عظيم ! مات مقتولا وغدرا .. فاضطرت أمك التي لا أدري أهي حية ترزق أم ميتة تحت الثرى ؟!.. أن تدفعك للراعي جدي ، ويزعم أمام الناس أن أمك ماتت وأنه ترمل.. وجاء قريتنا بهذه الصفة وهذه الحكاية .. وتزوجني وأنت ابن سنة وشهور .. وصدقنا أنك ابن الراعي .. وعشت بيننا على أنك ابن الراعي من امرأة هلكت ، وقبل أن يموت بسنة اخبرني أنك ابن الملك مطر ملك مدينة (همام الرعاد) وأن أمك ملكة تلك البلاد اسمها الملكة سيرة ، ومن أجل ذلك سمى شقيقتك على اسم أمك الملكة .

بعد صمت قد طال بينهما قال: أعلمت من قتل أبي ؟

ـ عمك.. عمك قتل أباك ، وصار ملكا على البلاد والعباد كما أخبر أبوك بالرعاية جدي ، وظل مولدك خفيا لأنك الابن الوحيد للملك مطر .

وقصت عليه قصة غدير الدم كما أخبرها بها جدي ، وكما سمعها من الملكة سيرة .. وسمعها فيما بعد من الرعاة والركبان .

ـ عمي القاتل !

ـ نعم ، عمك غدر بأبيك .. فلما علمت أمك بالخبر خشيت على حياتك ، وكلفت جديا الذي كانت تعرفه راعيا قرب بلادكم بتربيتك والاعتناء بك حتى تبلغ مبلغ الرجال وتختار ما يناسبك .. وكان جدي لا يرغب لك بالزواج حتى تعرف نسبك وأن الأمراء ينكحون الأميرات وبنات الملوك .. فهذا الذي كان لا يشجعنا

على تزويجك من بنات القرية في حياة أبيك الراعي ، وبعدما حملني الأمانة والعهد

أخذ الشاب يد أمه وقبلها بامتنان وقال: أنا مدين لك ولأبي جدي .. كنت وأنا صغيرا ألمح في عيني أبي جدي كلاما يكاد أن يهم بنطقه ثم يقف.. وأرى حزنا .. كنت أعجب منه وأقول لنفسي .. لما الحزن في عينيي أبي عندما يرقبني .. رحم الله والدي جديا ..

ـ تركت أمك لك مالا ورسالة .. وشجعك جدي على الفروسية ، وحببها إليك على قدر الإمكان حتى لا يلفت إليك الأنظار ..

ـ رحمه الله .. عليّ الآن البحث عن أمي ..

ـ أخبرني والدك أنه لم يسمع أنها ماتت .. ولم يسع إلى لقائها لأنها هي طلبت منه ذلك .. وإنها عندما تريدك ستبحث عنها .. وذلك إذا زال الخطر

ـ سأجد أمي بإذن الله تعالى

ـ أو أن تبقى معنا حتى تجدك أمك ..

ـ لا يا أماه ! .. لا تهمني الحياة بعد اليوم .. عليّ أن أجد أمي وأنتقم لدم قتيل غدير الدم .. هل بقي ذلك العم على قيد الحياة لليوم ؟

ـ لا أعرف ، أخبر والدك أن صراعا عنيفا جرى على كرسي الحكم

ـ عليّ بالرسالة ..

ـ نعم يا ولدي.. وأعلم أنك كنت تسمى بالأمير ضرغام عند أمك

ـ أمير ضرغام .. سوف أكون ضراغما يا أماه! .. حانت ساعة الثأر لدم غدير الدم .. وليبق ضراغما مخفيا .. أنت أرضعتيني يا أماه ..

ـ قليلا ، رضعت من لبن الشاة ، عندما جاء بك جدي كنت رضيعا من أمك الملكة .. لأنني لم أكن ولدت بعد ، والرضاعة تأتي مع الولادة .. لكن مع ولادة محسن كنت أسمح لك بمص الحليب في بعض الأحيان .. أختي سهيلة أرضعتك مرات عندما جئت إلينا رضيعا .

كتاب الملكة سيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي قرة عين أمك

إذا عشت لتقرأ هذا الخطاب فاصفح وأعفو عن أمك

كان لابد يا ولدي أن أتخلى عنك لتحيا ، وأخفيك عن الخطر المحدق بحياتك ، ولا تفعل الأم ذلك إلا مكرهة مضطرة .. فحياتك هامة بعد مجيء خبر مقتل أبيك غدرا في غدير الدم .

بعدما أفقت من صدمة تلقي الخبر أدركت أن حياتك في خطر ، لن يبقي عمك عليّك حيا ..

فتذكرت صاحبي الراعي جديا ، وأنه خير من يحفظ حياتك في هذا الحين .. فقد عرفته قبل زواجي من أبيك عندما كنت أذهب للتنزه حيث المراعي القريبة من مدينتنا ، وكان شابا شهما طيبا وشجاعا.

فعندما ذهب الخدم لإعداد جوادي لأذهب إلى ديوان الحكم حيث إني ملكة للبلاد .. كتبت لك هذه الرسالة .. ووضعت بعض الجواهر والمال في جراب .. وأخذتك خفية عن أعين أهل القصر تحت عباءتي السوداء الفضفاضة.. وذهبت بك للمراعي .. وحمدت الله أن وجدت جديا ما زال هنالك ، لم يغادر المراعي بعد.. فكلفته بمهمة رعايتك بالخطة التي تفتق ذهني عنها .. وأن يزعم أمام الخلق أنك ابن له ماتت أمه ، وتركتك عنده حتى لا يفتش أحد عن الحقيقة .. لأن عمك سيعمل على قتلك ، ما دام قتل أباك ويطمع بعرش المدينة .. وهو ليس من رعاة بلادنا ليشك فيه ، ويؤتمن على ابن الملك الميت ظلما .. ولما تكبر وتعرف حقيقة مولدك عليك أن تسعى لمعرفة الحقائق ، وتسعى لأن تكون ملكا .. لأني أرى أن عمك بمعاونة الخونة سيكون ملكا للمدينة الحائرة .. وعليك بالثأر من قتلة غدير الدم .. فإذا كنت باسلا ومحبا لوالدك فلا تنس دمه .. الثأر .. الثأر .. أنت صاحب العرش حقا .. عمك مغتصب .. فإذا وجدته حيا عندما تبلغ مبلغ الفرسان فأنت الملك الحقيقي لنا .. عليك أن تكون ملكا .. كما كان أبوك ملكا وجدك ملكا .. أمك المحبة لك ولحياتك .. عسى أن نلتقي يا ولدي إذا مد لنا في العمر .. قد فرق بيننا عمك المجرم القاتل الغادر اللئيم .. قتل أباك وهو نائم في الصيد .. قتله كما يقتل الجبناء خصومهم .

بكى وذرف الدمع خلال القراءة وبعد القراءة وقال " أرجو أن يبقى الأمر سرا يا أماه .. سأخبر أخي محسنا فحسب حتى يعرف سبب فراقي لكم ، ولا يتشتت ذهنه .. فنحن أخوة يا أماه .. سأنتقم يا أمي لك ولأبي "

اطلع محسن على النبأ بدهشة ومفاجأة وقرأ الرسالة .. واحتضن أخاه وقال " سنبقى أخوة يا أخي الأكبر .. وأنا شريكك في الانتقام ، ولن أتخلى عنك حتى تحقق ثأرك أيها الفارس

الشجاع "

ـ لا أعرف كيف سيكون انتقامي يا أخي الشجاع ؟ .. وأحب أن تبقى عند أمك وجدك حتى ارجع من زيارة تلك البلاد .. لقد فكرت بشيء لأنظر تلك البلاد .. سأجعل من نفسي راعيا صغيرا كما فعل أبي جدي ـ رحمه الله ـ والدك العزيز البطل الشجاع .. فهو عندما قبل حضانتي كان شجاعا ، وكانت حياته على كف عفريت لو تسرب خبر ولو كان كذبا لصرعوه فقال الجد الذي أيضا كان ذاهلا من حقيقة وليد : دم الملوك يسري في دمك يا ضرغام .. كانت نشأتك لا توحي بأنك ابن راع .. سبحان الله ! .. الانتقام يا ولدي يحتاج لذكاء .. كنت عندما أحدث والدك بعد عودتك من المدينة ، وقد نلت حظا من الكتابة والفروسية قائلا حان موعد زواجه يا جدي .. فيبتسم ويجيب " ليتني أستطيع ذلك ، أمامه شأن كبير ".. اليوم فهمت هذا الشأن الانتقام .. فكرة الرعي قرب بلادكم فكرة بريئة فعليك بها .. والزم الحذر فأنت لم تخبر الحياة والقتال .

أقسم محسن على مرافقته في حياته ، الحياة معا أو الموت معا .. فباركت الأم شهامة ونخوة ابنها وقالت " هذا قدرنا .. فاقبل صداقة محسن يا وليد يا ابني "

عاد وليد يقبل أمه وقال: " هذه تضحية كبيرة يا أماه "

ـ توكل على الباري في علاه

ـ اكتموا الأمر .. إنما نحن أبناء جدي ذهبنا في مهمة رعي لمناطق أبعد .

بعد عشرة أيام من المسير بمائة رأس من الغنم وصلا أطراف المدينة .. وحيث المكان الذي عرفا أن جديا كان يرعى فيه وضعا رحالهما .. فكان واديا خصبا وجبالا مليئة بالغابات الخضراء .. وعيون المياه متوفرة في المكان .. وعدد كثير من الرعيان والغنم والإبل والثيران يعمرون فيه .. كانت المراعي عامرة .. وخلال أيام قضياها في الودي أصبحا على معرفة بالمكان والرعيان أو عدد منهم .. بل وجدا راعيا يعرف أباهم الراعي جديا منذ أكثر من عشرين سنة .. وما زال يذكره .



سعد الراعي الشيخ بأولاد الراعي جدي ، وترحم على صديقه الذي عرفه واتخذه رفيقا وأخا في هذه المراعي الشاسعة قال: عدت لديرتي لقضاء موسم الصيف والشتاء معهم .. ولما عدت علمت من الإخوة الرعيان أن جديا عاد لقريته .. ثم سمعنا أنه تزوج ، وسكن بلدة حليلته ، وهجر الرعي خارج البلدة .. وها أنا اليوم أسعد بريح صديقنا جدي رحمه الله .

وشرع الرجل يتحدث عن تلك الذكريات والأيام بحنين ولهف وقال : هذه السنوات مضت كأنها يوم واحد ، لقد كان والدكم من أعز الإخوة والرفاق في هذه المراعي الشاسعة .. كنا أحيانا نقضي الربيع والصيف والخريف قبل أن نرتد لأصحاب الأغنام .. ومرات نقضي موسمين كاملين الصيف والشتاء هنا .. رحم الله الأخ جدي .. البركة فيكم اليوم .. لكن أغنامكم قليلة .. ذكرتم أنها لكم ، لا تعملون عند أحد .. وأنا تعودت على الترحال بين الوديان والمراعي حتى استقر بهذا المرعى الكبير.. رحم الله الجدي.. ما شاء الله كان أجدع مني وأشجع وغامر بالزواج ، وها هو أنجب شابين .. حاولت الزواج أكثر من مرة ، والنساء لما يعلمن أني راع رحال يعتذرن عن الزواج ..هل حدثكم عن الراعي جندوب ؟

قال محسن : حدثنا عن هذه المراعي وخصبها وكثرة خيراتها ومائها .. ولم يحدثنا عن أسماء ، ربما لصغرنا يا عم جندوب .. مرحبا بك يا عمنا الوفي .

فقال وليد : علمنا من أبي ـ رحمه الله ـ أنه كان محبوبا من أميرة مدينتها قرب هذه المراعي .

ضحك الراعي جندوب ملء شدقيه وقال فرحا: أذكر تلك الأميرة .. كانت صغيرة تتردد على المراعي كثيرا لترى الأنعام التي تملأ هذا الوادي .. فهي كانت فعلا رفيقة بجدي وتعطف عليه وعلى غيره من الرعيان ؛ ولكنه كان المقدم عندها .. إذن حدثكم عنها الراعي جدي .

خفقت قلوب الشباب وتابع جندوب الكلام : هي صارت ملكة قبل زمن بعيد .. وظلت تتردد على المراعي هذه .. وتجلس معنا ، وتأكل طعامنا ، وتهدينا المال والثياب .. ولكن لما عدت آخر مرة ولم أجد والدكم هنا .. علمت من الرعيان .. أن الملكة ترملت لقتل شقيق الملك زوجها أخاه ، وجلس على تخت الحكم مكانه .. ثم ضعفت جولاتها لهذه المراعي ، فربما شاهدتها بضع مرات خلال هذه السنوات الطويلة .. الدنيا تتغير يا أولاد .. ربما تأتي المرعى هنا ، واعرفها بكم وتحظون برؤيتها كما حظينا نحن بهذا الشرف الكريم .

ـ ألم تسألكم عن والدي لما بدأت تتردد عليكم ما دام والدي كان رفيقا لها ؟

ـ اسمها الأميرة سيرة بنت غزال .. الحق أنها كانت كلما تزور المرعى تسأل عنه .. خاصة عندما تلتقي بي .. فتقول أين أراضي صاحبك جدي يا جندوب ؟ قد كنت أقرب الناس إليه من بين الرعيان .. فأقول لا أدري يا مولاتي نحن أصدقاء وأخوة هنا ، فكل واحد منا يتبع لمدينة ، وأصحاب وملاك هذه الغنم من مدن مختلفة.. ولما سمعت بزواج جدي بعد حين وصدف وسألتني هذا السؤال أخبرتها بما سمعته .. فقالت : إذا علمت في أي البلاد استقر فاخبرني ؟ ولسوف أكرمك فهو صديق عزيز عندي .

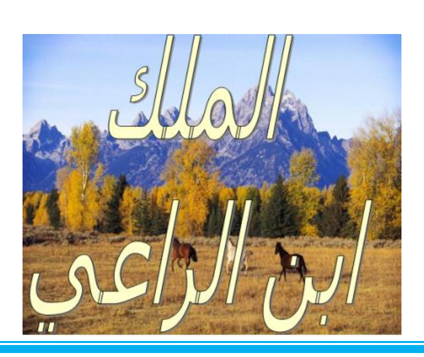
فقال محسن : أتتردد هذه الأميرة هذه الأيام هنا ؟

ـ قليلا ، ربما تمر السنة أو السنتان ولا تأتي ، وحتى عندما أتغيب عن المكان .. يقول الرعيان لم تحضر ، فوجودها في المرعى خبر مهم يتناقله الرعيان .. علمت أنها ترتاد سهل العوف حيث الغزلان والظباء للصيد مع زوجها .. وسهل العوف هو مرعى خاص لأهل المدينة مدينة الرعاد كما يغلب عليها هذا الاسم ، ويجري فيه سباقات للخيل .. إنها أميرة طيبة وتتواضع للحديث مع الرعيان .. ورأيتها بعد ترملها من الملك مطر ، فكانت دائما حزينة ؛ ولكنها تحب الهواء الطلق والمراعي ورؤية آلاف الأغنام والإبل .. لان رعاة الإبل يأتون بكثرة في بعض المواسم ..

قال وليد : وسهل العوف أين يقع ؟

قال جندوب الراعي : بعد هذه المسافة وتلك التلال ـ وأشار بيده جهة المدينة ـ يأتي واد يسيل في الشتاء والمطر ، ويجف في الصيف .. يبدأ سهل العوف حتى أطراف المدينة مدينة الملكة سيرة بنت غزال .

قال محسن : شوقتنا لرؤية هذه الأميرة الشجاعة يا عم جندوب .



اللقاء

استشف الشابان من مجمل كلام العم جندوب سعي الأميرة الخفي لمعرفة مصير ابنها ضرغام ، وأدركا أن الخطر ما زال محدقا به ؛ لأنها تبحث عنه باستحياء وخوف ، وقضوا ثلاثة أشهر في وادي الظباء وجبال فيلان ، ولم تظهر الأميرة سيرة في الوادي ..

فقال وليد لمحسن: أعتقد أن القوم هنا اعتبرونا رعاة مثلهم ، بعد قضاء هذه المدة بين ظهرانيهم.. ولننزل المدينة أمامهم لشراء بعض الثياب لأخذها للأهل عند العودة إلى قريتنا .. ونتعرف على المدينة ونسأل عن تلك الأم .

ـ نعم الحيلة ، وسنترك غنمنا لدى جندوب .

ـ الرعيان بدأوا بالرحيل كما رأينا لأن الشتاء اقترب على هذا المكان .. فإذا العم جندوب يرغب في البقاء والانتظار نترافق يا آخي الشجاع .

ـ قدمي على قدمك أيها الشجاع .. أوصتني أمي أن لا أفارقك.. نحيا معا ونموت معا

ـ أنا ممتن لأمك العظيمة .

لما تشاوروا مع جندوب قال: على الرحب والسعة .. ومن الجميل أن تهبطا المدينة والتعرف عليها وشراء الهدايا والهبات فهي مدينة كبيرة .. وأنا لا أغادر المكان حتى يدخل الشتاء الغزير.. ولكن احذروا الإطالة فيها فالفتن كثيرة.. كما يحدث رعيانها ، والرعيان الذين مثلنا يزورنها لشراء الهبات لأهليهم .

فقال وليد : لم نفهم ما تعني بالفتن ؟!

ـ علمنا من رعاة المدينة أن الفتن والقتال بين القبائل والناس كثيرة خاصة بعد مقتل الملك مطر زوج الملكة التي كانت صاحبتنا أنا ووالدكم جدي .. نشبت حرب أثر مقتله .. ثم هاجمت جنود من مدن أخرى المدينة وعاد الأمير طل .. شقيق الملك المقتول حاكما عليها ، وكان ذلك بعد صراع بين أنصار الأخوين .. ولكن الصغير تمكن من الكبير وقتله عند غدير الدم .. وكان الوزير بهلوز قد تحالف مع الأمير الصغير ، وكافأه الملك الجديد بالعودة للوزارة

والزواج من ابنته التي اسمها بدر .. ولما استقر الملك الجديد على تخت البلاد هجر الأميرة ؛ لأنها لم تلد له الابن الذكر ، وأخبر الرعاة أيضا بهمس بينهم أن الملك طل اغتال والدها بالسم حتى لا يثور وينقلب عليه كما انقلب على شقيقه ؛ لأن الوزير بهلوز شارك في التآمر على الملك مطر لأنه طلق ابنته بدر .. وحاولت الأميرة بدر النيل من الملك ، ولم ينجح مسعاها ، وكشف أمرها وحبسها في قصر مهجور ، ثم هربت منه واختفت ، ولليوم لم يعرف أحد أين اختفت ؟ .. وبعضهم يقول همسا "إنها قتلت واختفت جثتها" .. وبعضهم يقول: "لما هربت من القصر المهجور أكلتها الوحوش في تلك الصحراء الجرداء من البشر ".

ـ أكمل أيها الراعي الخبير ..

تبسم الشيخ وأجاب: عندما يجلس الرعاة في الليل كما نجلس الآن أيها الشبان ليس لنا سوى نقل القصص والحكايات ، وأهمها أخبار الأمراء والأميرات .. وكل من عنده خبر وحكاية يرويها .. كان الملك شجاع الملك الذي ساعد الملك طل في اغتيال شقيقه الملك والاستيلاء على حكم هذه المدينة يأخذ الجزية والمال من الملك طل .. فبعد سنوات ضجر طل الملك من دفع الجزية المضروبة عليه .. فغضب عليه الملك شجاع وعزله ، وسمعنا من الرعاة أنه سجنه في سجن ، ولا أحد يدري أين هذا السجن؟ .. بعضهم يقول في المدينة هذه وآخرون في بلاده .. وعين الملك حاكما من مدينته يجمع له أموال المدينة ..

فقال وليد بحنق : وهل الملك الظالم هذا حيا لليوم ؟

ـ لم ينقل لنا موته .. ولما اعتلى هذا الشجاع عرش بلاده ولج إليه طل وبهلوز وطمعوا في عونه للقضاء على الملك مطر .. فوافق كما قلت لكم مقابل مال يدفع له ، ولما تقاصر ملك المدينة عن الدفع .. غزى المدينة وأخذ طل .. وقادته .. ولما تحركت بعض القبائل ضد حاكمه .. أخرجهم من المدينة .. والمدينة اليوم مستسلمة لقدرها ومصيرها فلم نسمع أن أحدا طالب بالعرش ؛ لأنه بعد ذهاب طل ، لم يبق وريث لهذا العرش ..لأنه انقطع نسل الملك الرعاد ..

ـ كيف ؟

قال جندوب مسرورا لأنه وجد من يصغي لحكايته باهتمام : تحبون سماع أخبار هذه المدينة .. الملك الرعاد لم يخلف إلا ولدين ، هما الملك مطر والملك طل .. ومات فجأة بدون تعيين خليفة له .. فصار صراع بين الأخوين ، ورجحت كفة الملك مطر ، فنصب ملكا ، ومات مقتولا بعد زواجه بسنين قليلة ، ولم يكن له ذرية ، قيل إن له ابنا كان عند موته رضيع ، وقيل إنه اختفى ، بعضهم قال قتله عمه طل بعد خطفه ، وبعضهم أشاع أن جارية هربت به بأمر من الملكة أمه ، وقيل إن أمه أخفته .. والله تعالى أعلم

فقال وليد : والملكة سيرة ووالدها ألم يفعلوا شيئا بعد مقتل الملك طل ؟

قال جندوب وهو يتذكر الأحداث : ماذا ستفعل والبلاد قد انقسمت إلى فرق ؟!.. سمعنا أن الملك شجاعا منحهم الأمان ، واعتزل الوزير غزال الحكم في قصره وبساتينه وكذلك فعلت الملكة .. وقد علمنا أنه هلك بعد حين ، والملكة بعد زمن نكحت رجلا من أقاربها ، وابتعدت عن الحكم .

قال محسن : بارك الله فيك يا عم جندوب .. سنأخذ جانب الحذر .. ولا أظن أن يعتدى علينا ونحن بثياب الرعيان هذه .

ـ الأشرار موجودون يا ولدي .. خاصة في المدن .. حفظكم الله .. في زيارتكم هذه ..أرجو أن لا تنسوا أنفسكم في المدينة ..

ـ أبعيدة المدينة ؟

ـ الحمار يحتاج لربع يوم حتى يصل قلبها ..

فقال وليد : أتشتهي شيئا نجلبه لك من المدينة ؟

ـ بعض الحلوى .

ـ أبشر بأفضل حلوى في المدينة

ـ كم يناسبنا من عدد الأيام فيها ؟

ـ حسب همتكم .. ثلاثة أيام

فقال وليد : هل نسعى لمقابلة الملكة سيرة ونذكرها بأبينا جدي ؟

فقال الشيخ : خيرا تفعلون .. هي بشوق ولهفة لسماع أخبار الراعي العزيز جدي رحمه المولى تعالى.

سار الشابان مع الفجر باتجاه المدينة التي ولد فيها وليد قبل ما يزيد عن عشرين سنة ، وكان من عادة الرعيان ارتداء جلد خروف وصوفه أعلى الجسد والظهر فيعلم الرائي له أن هذا راعي .. بعد نصف يوم من السير على الأقدام والمشي الخبب دخلا من أحد أبواب المدينة مع الداخلين والخارجين .. تجولا في شوارع المدينة وبعض أحيائها ، ومشيا في الأسواق بمختلف مسمياتها وأنشطتها .. كأسواق الثياب والحرير .. أسواق الذهب .. أسواق الجلود .. أسواق الخضار والطعام.. أسواق النحاس .. والحديد .. والفخار .. تناولا طعامهما عند مطعم في وسط المدينة .. وعند الليل سكنا خانا ينزل فيه الغرباء والتجار المسافرون .. ولما رأى المال صاحب الخان رحب بهم وأنزلهم مع عدد من النزلاء .

كانا يفكران بحيلة يعرفان بها قصر ومسكن الأميرة سيرة بنت غزال ، وفي الصباح سألا سيد الخان عن خياط ثياب مشهور ، يخيط الأغنياء والسادة ثيابهم عنده .. وذكروا له أنهم رعاة في وادي الظباء سوف يعودون لبلدانهم، وهم بحاجة لهدايا تستحق الحمل والإهداء .. فدلهما الرجل على سوق الخياطين وأنهم سيجدون هناك بغيتهم .

دخلوا السوق وبعد حين أرشدهم الناس إلى أهم رجال الخياطة في البلدة ، فدخلوا أحدها فرحب بهم الخياط ، وذكرا له الغاية من زيارته ، فدلهم على متجر بجواره يبيع القماش .. فاشتريا قطعتين ، وعادا للترزي الذي أخذ مقاسهما ، ووعدهم خلال ثلاثة أيام بإنهاء وإنجاز المهمة .

ولما انتهى القياس والاتفاق ودفعوا المال فقال له وليد : تعرف والدي قبل عشرين سنة على أميرة تسمى سيرة أين قصرها فنرغب بنقل تحية لها ؟

تطلع فيهما الخياط لحين وقال: أميرة تعرف الرعيان قبل عشرين سنة .. سيرة بنت من ؟

ـ سمعنا أن والدها الأمير غزال .

ـ الأمير غزال .. هذا يا سادة كان ملكا للبلاد ولكنه هلك .. أنتم تتحدثون عن ابنته الملكة سيرة .. تذكرتها .. نعم كانت ملكة شعبية وطيبة .. وتعطف على الناس وتنزل الأسواق ..

ـ كانت زوجة أحد الملوك .

ـ أجل ، أجل الملك المقتول مطر .. رحمه الله .. أتريدون قصرها ؟

ـ نعم ، حدثنا والدي أن زوجها الملك قتله شقيقه .. فكانت تذهب للنزهة عند المراعي الغربية وتعطف على الرعاة ومنهم والدي .. فطلب منا لما علم بسعينا للنزول للمدينة والتعرف على أهلها أن نمر على قصرها لنقل سلامه لها .

ـ الملكة طيبة .. وتعطف على الناس الضعفاء مثلنا .. لقد اشتغلت لها ولخدمها عددا من الثياب .. نعم ، هي قد تزوجت بعد ترملها

ـ سمعنا هذا أيضا .

ـ جميل فعل والدكم نحوها ، ووصيته لكم بالسلام عليها .. هي تسكن في قصر يسمى قصر الأسد

ـ قصر الأسد !

ـ نعم ، وهو خارج أبواب المدينة .. هناك قصور للأمراء حيث أملاكهم وبساتينهم ورياضهم وكلها خارج المدينة .. ستذهبون للباب الجنوبي باب العصفور وتخرجون منه ، وبعد مسير أربع خمس ساعات ستجدون قصرا على أسواره عددا من الأسود الحجرية .. فذاك هو قصرها هنا كل أمير أو كبير يتخذ طيرا أو حيوانا يجسم على أسواره .. شعار للعائلة .. واذكروني لها وسترحب بكم ..

ـ يعني من السهل الوصول إليها

ـ نعم ، الأميرة يوميا تستقبل الفقراء والمحتاجين وتوزع عليهم الطعام والتمر والزبيب .. بعد أيام ثلاثة تكون الثياب جاهزة

فشكر الشابان الخياط العجوز ، وانصرفا للغداء وبعد الغداء سينطلقون إلى قصر الأميرة سيرة



قطعا الدرب مشيا على الأقدام ، وخلال بضع ساعات كانا يقفان أمام قصر الأسد الذي يقع ضمن بساتين عديدة وأشجار باسقة.. وأسوار عالية ، وكان القصر ضخما وقديما ، فلما رآهما أحد الحراس أمام البوابة سألهما عن غايتهما .. فلما عرف الجواب ، لم يستغرب من علاقة الأميرة بالرعاة ، فهذا معروف عنها منذ عقود ، ومن أيام حياة والدها الملك والوزير غزال .. فقدم لهما الماء ، وقد رأى التعب والجهد عليهما ، وقال لأحد الخدم " قل للأميرة هنا راعيان راغبان بالحديث معها ، أحدهما اسمه وليد ، والثاني محسن من رعيان وادي الظباء "

كانت الأميرة تجلس في ديوان البيت مع بعض النساء الزائرات، فهمست جاريتها بأسماء الراعيين الراغبين بلقائها ، فدهشت فهي لم تعرف هذين الاسمين من قبل ، وبعد تفكير سريع أمرت الخادمة أن تقودهم إلى غرفة الطعام التي تستقبل بها الفقراء والمساكين ، وليضع لهم الخدم الطعام والشراب.. فقد كانت في القصر قاعة خاصة بالولائم .. فأمرت الخادمة الرسول بنقلهما لغرفة الطعام .. فساقهما الرسول بعد إدخالهما إلى قاعة الطعام ، وقدم لهم الخدم الطعام رغم أكلهما قبل مجيئهم أخذا بالأكل حتى لا يلفتا الأنظار أنهم قدموا لغاية سرية وخطيرة .. وقدم لهم الخدم الشراب من العصائر والماء فهمس محسن " أمك كريمة يا أخي "

تلفت وليد يمينا ويسارا " احذر من الكلمات الخطيرة ولا تنسى أنها تركتني كل هذا الزمن "

" احذر الإساءة لأمك .. لولا فعلتها الشجاعة والتخلي عن الأمومة ؛ لكنت من الهالكين .. رغم هذه القسوة نحوك كان همها حياتك ، وقد أدركت بسرعة الخطر المحدق بك لا تنسى هذا يا أخي "

" ولما زال الخطر نسيتني "

" لم تنساك .. وما كانت تذهب للمراعي إلا للتحسس عن والدي .. ما يهما بجدي إلا أنت اضبط نفسك أمامها .. قد يكون للحاكم عيون في هذا القصر .. من هؤلاء الخدم "

" أنت تعذرها يا محسن "

" أنا كنت أخشى أن تكون أمك ميتة أو مقتولة .. ولن يعترف بك أميرا أحد من الناس .. فاحمد الله على بقائها .. هل سيعلم الناس أنك أمير وابن ملك إلا من أمك ؟ .. وعليك أن تكتم الخطب حتى لا تتعرض للقتل "

" يجب أن أطالب بعرش آبائي "

" ليس الآن .. لذلك لحظة مناسبة .. وأمك دفعت بك لتطالب بهذا العرش .. وذلك في الزمن المناسب .. وذلك عندما تجتمع بأهلك وأنصار أبيك .. اسمع لأمك لا تتحدث بعاطفة "

" إنك فطن يا محسن وذكي "

" أشكرك .. لا تنسى أن هذه البلاد يحكمها العدو لأسرتك ولأهل المدينة .. فالأمر يحتاج لفطنة وحنكة وتدبير "

" كلامك رائع وشجاع "

" نحن أخوة أيها البطل الشجاع "

اقترب أحد الخدم نحوهما وقال " أتريدون رؤية أم البرق أم أخذتما حاجتكما ؟

قال وليد : من أم البرق ؟!.. نحن جئنا للكلام مع مولاتنا الأميرة سيرة .

ـ ألا تعرفان أم البرق ؟!

قال محسن : نحن رعاة من البلاد المجاورة ، ولسنا من هذه الديار .. نحن أبناء الراعي جدي قل للأميرة هذا ، وستقبل بمقابلتنا .

فعلا نقل الخادم للجارية الخاصة بالأميرة سيرة رسالة الراعيين .. فخفق فؤاد الأميرة وخشيت

على نفسها وقالت لنفسها" ولدي!! .. أقدر لي رؤيته أخيرا .. عشرون عاما يا ولدي"

تدثرت بثياب دافئة وعادة تستقبل بها الرجال ، وأمسكت بيدها الخادمة التي قالت " مالك يا سيدتي ؟"

مشيتا نحو قاعة الطعام ، فلما دخلت القاعة وقف الشابان ، واضطرب وليد والمرأة تتقدم نحوهما ببطء وجهد .. عرفته فور حدقت به وقالت " إنه ابني صورة أبيه يا الهي! لو يخلع ثياب الرعاة لظن من يعرف أباه أن الملك بعث حيا "

همست وقد أمرت الخادمة أن تتأخر عنها " ولدي ضرغام "

" أمي الملكة .. أمي الأميرة "

التزمته دقائق معدودة أمام دهشة الخادمة .. ولما ابتعدت عنه ، كان زوجها الأمير يدخل القاعة ورأى الانفعال ودموع زوجته فقال بدهشة " سيرة .. من هذا ؟!"

التفتت إلى زوجها الذي لم تشعر بدخوله ، ومسحت دموعها وهمست بصوت ضعيف" إنه ابن الملك المقتول غدرا أيها الأمير .. ابني يا زويد "

قال زويد بانفعال ولهفة: ابنك المفقود .. تعال يا ولدي لنا سنوات نبحث عنك .. البلاد تريدك !

ردد وليد : البلاد .

واحتضن زويد الراعي وليدا ، وقبله على خديه ، وهو يقول بصوت هامس : ولدي ولدي مرحبا بك .. أين كنت ؟!

ـ أين كنت ؟!.. كنت عند أبي جدي رحمه الله

صاحت المرأة : مات جدي ؟

ـ نعم ، مات جدي يا أمي .. وهذا ـ وأمسك بيد محسن ـ فلذة كبده وهو يصحبني منذ قرأت رسالتك .

قبلت المرأة الشاب .

زواج ضرغام

بعد تعارف القوم ساقت الملكة سيرة وزوجها الشابين إلى حجرة خاصة ، وأمرت الخادمة التي شاهدت هذا اللقاء الدقيق بمنع أحد إن يقرب إليها ، ولما جلسوا وكررت الملكة تقبيل وحضن ولدها قالت : كلي شوق إليك يا حبيبي ، وكان من الضروري إبعادك عن الخطر والغدر.. واعلم والله يشهد أني فعلت ما فعلت لأن حياتك كانت مهمة لي وللبلد .. فأنت أول ذكر حفيد للملك الرعاد .. هل فصل لك أبوك جدي قصة مصرع أبيك ؟

ـ علمته من أمي أم محسن .. فوالدي جدي مات قبل أن يكشف لي سر مولدي .. ولكن الراعي جندوب حي ، فقص علينا قصة الغدر في غدير الدم ..

قالت بحزن واضح : لم ينجُ من حادثة الغدير إلا ثلاث جوار ، لم يكنّ في الخيام ساعة الغدر .. جرح البعض ولكنهم ماتوا من جراحاتهم .. فكان من الحكمة والإلهام تلك الساعة القاتلة المحافظة على حياتك ..

كان ضرغام يسمع الكلام وينظر بطرف عينه إلى محسن.. تابعت فقالت : أسرعت بجوادي حيث الراعي جدي ، وقصصت الأمر عليه ، وكان شجاعا فقبل المغامرة الخطرة ، ولما اختفى عن ناظري عدت لديوان الحكم ، ثم اكتشفوا بعد يوم أو أكثر اختفائك ، فظنوا أن عمك خطفك ليتخلص من الغد المجهول .. ولما تسلطن عمك ملكا بعد الخيانة ، كان هو أول من سأل عنك ؟ لخنقك والخلاص منك .. ورحم الله العم جدي فقد نصح لك ورعاك .. وتحرى عنك عمك المحبوس اليوم في سجون الذين تحالف معهم .. ولم يجد ثمرة لبحثه .. وضغطوا على الجواري بحثا عنك ، والكل شهد أنك اختفيت فجأة.. وعجبوا كيف تخليت عنك ؟ حتى تيقن لهم أنك ميت .. وستبقى ميتا إلى حين ..

ـ إلى حين ؟

ـ نعم ، أعطانا شجاع الملك الأمان ، وخلعت نفسي عن العرش لعمك الخائن .. فقد غدر بالوزير بهلوز الخائن مثله .. وانتقم من زوجته ابنة بهلوز ، ورماها في سجن صحراوي .. كان

كل أسبوع يذهب إليها خدم بطعام لمدة أسبوع ، ولما راحوا في إحدى المرات لأداء المهمة ، وجدوا القصر فارغا ، واختفت الأميرة بدر .. مات والدي بعد حبس عمك بقليل ، وتزوجت من هذا الرجل ـ وأشارت لزوجها الذي ابتسم لضرغام ـ وهو من أقارب والدك الملك وابن خاله ، وولدت له ثلاث بنات وذكرا واحدا سميناه البرق .. وأخذت أتردد على وادي الظباء لعلي أسمع بشيء عن العم جدي ، وبحرص شديد ؛ لأن عيون الملك شجاع لم تضعف عن أمراء البلد.. ولم حسبت أنك قربت من العشرين بحثت عنك أكثر لكن دون جدوى .. كانت بي لوعة وشوق لرؤيتك خشيت أن أموت قبل أن تكتحل العين برؤيتك يا قرة العين ونسل الملوك الكرام .. كان أبوك شجاعا مقداما في حياة والده وبعده.. والبلاد بحاجة لك اليوم كما سيخبرك الأمير زويد المقداد.. ففي القوم رجال يسعون لتحرير المدينة من الغرباء وإعادة الملك للأسرة ؛ وهم يريدونك .. فقد فكروا بنقل الملك إلى الإناث من سلالة الرعاد .. فلجدك خمس بنات ، وكلهن متزوجات ولودات ، لهن مواليد ذكورا وإناثا .. فكشفت للأمير مقداد قصتك ، وأنت لابد ما زلت حيا في ذهني .. ففرح للخبر .. وسعوا للوصول إليك دون فائدة .. فقلت لهم إذا كان ولدي حيا سيأتي .. وها أنت أقبلت كالأسد الرئبال ..

واحتضنه وأخذت بتقبيله ، وهي تذرف الدموع وقالت : أنت أمل المدينة اليوم .. وانتظرت هذا اليوم السعيد بشوق كبير.. وسعيدة برؤية محسن معك.. حبيبي يا محسن !

ـ شكرا لك يا مولاتي يا أم ضرغام .. هذا شرف لي أن أتربى مع أبناء الملوك

وقص ضرغام ما يعرفه القارئ عن حياته في تلك القرية ، وعجب لاهتمام والده جدي بتعليمه الفروسية في المدينة ، وتخلفه بكثرة في المدينة خلال فترة التدريب .. وأعادت الملكة الدعاء للراعي جدي الذي نفذ طلبها بكل اهتمام .. ولما ذكر قصة حياته قال : إني اغفر لك يا أمي التخلي عني .

وتابع القول : وصدق أخي محسن عندما التمس لك العديد من الأعذار.. أين إخوتي ؟

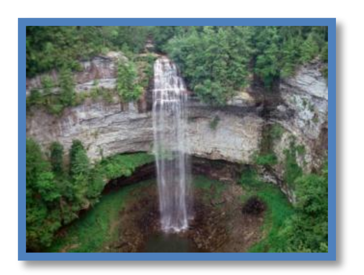
فقال زويد مقداد : ستبقى لهم جاهلا إلى حين .. فهم أطفال صغار .. ولو سألهم جواسيس الحاكم شاقور هل رأيتم أخاكم ؟ .. سيقرون بحسن نية .. وستبقى الراعي وليدا حتى أخبر الرجال .. رجالنا الساعون لعودة الملك لأهل المدينة .. فقد اقترب الفرج إن شاء الله .. واعلم أنك الذكر الباقي من سلالة الملك الرعاد .. لذلك اقترح عليك أن تتزوج في تلك القرية .. لتنجب لنا ابنا أو أكثر .. لأنك عندما تظهر ستكون في خطر وخطر شديد .. والحروب ضروس .. فعندما تلد الولد الذكر يمكنك أن تظهر وتنتقم لأبيك من شاقور ومن شجاع .. يا ضرغام معركتنا كبيرة .. وإذا خسرناك ستكون نهاية المطالبة بالحكم .

قالت سيرة : والدك مقداد يتكلم كلام الحكماء .. أليس هذا صحيحا يا ولدي محسن ؟!

قال محسن : نعم ، إنها أفكار تخرج من فم حكيم .. جيل يسلم لجيل

ضرغام : سأؤخر الانتقام .. وكيف أتزوج ؟

فقال مقداد جذلا : إذن صوبت خطتي .. وإن امتداد الدم الملكي بك لابد منه .. اعلم شوقك وأنت نسل الملوك العظام بالثورة والانتقام .. لكننا نحتاج للصبر .. والتدبير .. والتبصر .



لما استوعب الأمير ضرغام دوره والحاجة إليه قالت أمه: إني احبك يا ولدي .. وإنما مطلوب منك دور كبير ، وقد صبرنا سنينا ، فلنصبر سنينا أخرى قبل أن تأخذ حقك ، وتجلس على عرش أبيك .. ستبقى وليدا لحين من الزمن خشية على حياتك بداية ، ولأن رجال مدينتك يريدونك حيا .

فقال زوج أمه : أنت الأمل أيها الأمير الراعي .. فالرجال والقوم ينتظرونك بفارغ الصبر لأنك البقية الباقية من سلالة الملك الرعاد الأحق بالحكم ، والذي يستطيع المطالبة بعرش

البلاد دون منازع .. ستعود أنت والشهم محسن للمراعي .. وبعد أيام سأراكم في المراعي ، وقد يكون معي سيد من سادة المدينة المتحالفين معنا ليتعرف عليك ، ويؤكد للرجال حياتك وأنك ابن الملك مطر.

وقال ضرغام : وهل الزواج ضرورة ؟

ـ هذا مهم لتبقى القضية مستمرة ، ولو مائة سنة يا ولدي .

ـ وقد لا تنجب الزوجة الولد المطلوب .. وقد يموت قبل أن يشب ..

قالت الأم : نعمل بالأسباب والأمر لله وحده

وقال مقداد : نعم ، قد لا تنجب المرأة الولد الذكر .. ما تقول أم الملك ؟

ضحكوا على مداعبة الأمير فقالت الملكة: ما رأيكم بالجواري؟.. أن أهبه جاريتين فيتسرى بهما .

فقال مقداد بعد تفكير : لكن نظام الملك لا يقبل اعتلاء أبناء الجواري سدة الحكم

ـ إنها ضرورة يا سيدي الأمير .. وإذا حققنا مرادنا بضرغام لن نحتاج للملك الوريث .. أنا أحب لك نكاح بنات الأمراء والملوك .. وإنها الحال الصعب والظرف لا يسمح لنا بكشف شخصك للأنام .. لأنك ستبقى راعيا أمام الخلق .. عليك أن تتحمل ذلك من أجل قضيتنا بعودة الملك لأهله .. عليك أن تختار مكانا في البوادي بعيدا عن المراعي ، وتبني لك ولصديقك خيمة .. وسيقدم عليكم العم مقداد بسريتين لك ، وثالثة لمحسن ، وتعيشان في البرية حتى يتحقق المراد ويأتي الابن الذكر ..

قال ضرغام : أخشى أن يطول الأمر ، ولا يأتي الذكر يا أماه .. وأنا في رأسي مهمة

قالت بدهشة : مهمة ؟!

ـ نعم ، سأذهب لبلاد الملك شجاع الغادر وأنال منه وأشفي غليلي .

فقال مقداد : وهل قتله يحرر المدينة وينهي المعركة ؟.. لو كان ذلك يحقق المراد لسعينا إليه .. بل سيزيد الحقد والقتال بيننا .. نحن نريد إعادة سلالتكم للحكم والامتداد إلى

ما يشاء الله .. فنصف أموال البلاد تجمع وترسل للعدو الغاصب .. نحن بحاجة لملك وتدبير عميق ليبقى الملك في الأسرة .. لأن تلاشي أسرتكم يعني تلاشي الحكم .. وإذا أنشأنا جيشا قويا شجاعا نغزو أولئك ، ونأخذ بثأرنا ونسترد أموالنا أيها الباسل ، ونحكم تلك البلاد لحين من الزمن ، ثم نتخلى عنهم بإرادتنا حتى لا يفكروا بالانتقام منا كما انتقمنا منهم ، وتبقى الأمور بيننا سجال .. لأن المدن تقوى وتضعف .. فلولا الانقسام الذي حصل بعد وفاة جدك الرعاد .. لما غزونا وأذلونا .. لقد دافعنا بقوة عن العرش والملك غزال ، لكنهم تكالبوا علينا وعلى نهب خيراتنا.. وكرسي العرش فرغ قبل وضع الأمير غزال ملكا مؤقتا للقيادة والحرب حتى أن القوم أردوا جعلك ملكا وأنت طفل رضيع ، ووضع أمراء وصاية عليك .. ثم اكتشفنا لحظتها اختفائك الغامض .. فصعق القوم .. لقد كتمت أمك الحقيقة ، وكانت شجاعة وما زالت سيدة قوية .. فلما تزوجنا ، وعلمت حيرة الأسياد في أمر الملك الوارث .. كشفت لي الأمر .. فكدت أطير من السعادة .. وكذلك الإخوان .. عليك بنكاح السريتين .. وبعد ولادتها افعل ما تفكر وتدبر من الانتقام .. سأرافقكم لموقع بناء الخيام ، وعمل الرعي سيخفي ما ندبر ونفكر .



مع شروق الشمس كان وليد ومحسن يسيران نحو المراعي حيث جندوب ، وقد حملا معهم بعض الطعام والفاكهة ، ولما التقوا أخذهما بالعناق ، وسعد بما احضرا له من طعام الأميرة سيرة ، ولما علم أنهما تركا عند الخياط ثيابا وعد بالانتظار أيام آخر فقال : كنت أجهز نفسي للرحيل بمجرد عودتكما .. فقد جاء مرسال من أصحاب الغنم يطلب العودة في أول الشتاء . فقال ضرغام : لا حرج عليك أيها الوالد العزيز .. ارحل .. فسيذهب أحدنا للخياط .. وشراء بعض الأشياء من المدينة .. ونحن بعد رحيلك سنتحرك جهة بلادنا ونخيم في الطريق

بينهما وقضاء الشتاء فيها .

فلما سمع جندوب هذا الكلام شكر الشابين ، وتمنى اللقاء بهما في المواسم القادمة .. واستدعى معاونيه من الرعيان ، وعند آخر النهار تحركت قطعان الشياه التي تزيد عن ألفي رأس ، ومئات من النياق الأصيلة نحو مدينة جندوب .. وفي العادة يقل عدد الرعاة في وادي الظباء مع قرب حلول الشتاء حتى يقبل موسم الربيع فيبدأون بالتوافد بأغنامهم ومواشيهم ودوابهم .

جاء مقداد ومعه الثياب التي أخاطوها بالمدينة ، وصحبه رجل كبير في السن ، فلما رأى ضرغاما عانقه عناق الغياب والأحباب والتزمه ، ثم عانق محسنا وقال لضرغام : رحم الله الملك مطرا شبه أبيك يا ولدي .. حياك وبياك .. إننا سعداء بحياتك وظهورك .. كلنا في شوق إليك .. كنت كبير القادة في القصر يا ولدي القائد الفهر.. لكن الخصم كان عمك وابن عمنا .. حدثني الفارس زويد المقداد زوج أمك العظيمة البعيدة النظر بما دبروه .. وهو نعم التدبير .. فبقاء نسلكم يعني بقاء المطالبة في العرش المغتصب .. فسيبارك الرجال هذه الخطة والتدبير ، وقد صبرنا سينينا لهذا الوقت .. فسيزداد نشاطنا وهمتنا .. بحثنا عن ذلك الراعي الشجاع في السنوات الأخيرات لنعرف منه أخبارك .. تعسعسنا في القرى التي حولنا دون أثر بارك الله في والدك يا محسن .. وربت على كتفه ، ثم عاد القائد الفهر للمدينة يحشد الشباب والموالين للعرش كبارا وصغارا .

ورافق مقداد الشابين إلى المكان الذي سيكون مخبأهما، ومكان رعيهما ، ومكان زواجهما .. وقضى معهم أياما ، وهو مكان يبعد مسيرة ثلاثة أيام في القفار والوديان عن وادي الظباء .. وغادر للمدينة وقد تركهم في وجار أبي أشجع .. وقضى ردحا من الزمن يعد العدة بحيطة وحذر .. ولما جهزت الخيام ساق الجواري الأربعة إلى وجار أبي شجاع ، وقد ترك المدينة عند منتصف الليل .. وبعد مسير ومسير وصل للشابين .. ونصب الخيام الأربع .. فخيمتان لضرغام وجاريتيه.. وأعطي محسنا خيمة وجارية يتسرى بها.. والرابعة كانت له وللجارية

الخادمة للشابين .. ووعدهم بعد حين بإحضار خادم يقوم على خدمتهم .. وعليهم أن يبقوا متخذين لصفة ومهنة الرعاة ..

وكانت الجواري ممن يحسن العمل والطهو وحلب الغنم .. وعمل الخبز .. وتحقق الجزء الأول من الخطة .. ولم تمض عدة شهور حتى ظهر الحمل على الجواري الثلاث بإذن الملك الوهاب.. وقدم الخادم سهام واستقر في خيمة خامسة .. وكان مقداد يتردد عليهم بين حين وآخر .. بصفة راع من رعيان الملكة سيرة .



رأس شجاع

ولما مضت الشهور واقتربت السنة على الزوال ولدت النساء الجواري تلو بعضهم البعض ، وذلك كله بفضل ومَنّ من رب السماوات والأرض ، وولدت جارية محسن في أول الأمر فوضعت ولدا سماه عطية ، وجارية ضرغام الأولى ولدت ذكرا سماه عمرو، وكني به (أبو عمرو) ، والجارية الأخرى وضعت ذكرا جميلا سماه عثمان تيمنا بخليفة المسلمين الثالث عثمان بن عفان .

وبعد وضع الجارية الثالثة بأيام أقبلت سيرة لزيارة وجار أبي شجاع محملة بالهدايا والطعام.. وكانت زيارة خفية تحفها المخاطر ، واحتضنت حفيديها عمرو وعثمان .. وقضت بينهم أياما ، وعند الوداع قال لها الأمير ضرغام : لقد حققت لكم مطلبكم الأول ، والله يسر الحال بكرمه وجلاله، والله الذي يعطي الأعمار والحياة .. والآن يا مولاتي الملكة .. سأمضي بما فكرت به من انتقام ..

ـ وما الذي فكرت به من انتقام ؟

ـ سيقوم أخي محسن بنقل الذرية والأمهات إلى قرية أمي جديلة أم محسن، ثم سأذهب للانتقام من الملك شجاع وأمرائه الجبناء .. دم استيقظ من سباته، وحان له أن ينام قرير العين يا أماه .. سأرحل لتلك المدينة وافعل ما هو حق للوالد المظلوم على ابنه

ـ والناس في مدينتنا الذين ينتظرون ظهور ابن الملك ليطالب بعرش الآباء وليقود مسيرة تحرير المدينة

ـ اخبرني العم مقداد أن الأمور لم تجهز بعد لإظهاري أمام العامة والخلق .. سيسافر الفارس محسن بالأطفال والجواري إلى تلك القرية ويصحبه الخادم سهام ليعرف المكان .. وأنا سأسبق محسنا جهة بلاد اللعين شجاع ، وقد وافق الأمير زويد على مخاطرتي ومسيري .. وإذا تمكننا من تحقيق المراد وشاع خبر هلاك الظالم .. فهذا سيسهل أمر عودتنا في المدينة .. وظهور ابن الملك مطر

ـ تحدث مقداد بشيء من هذا.. وحدثني أن نائب الملك في المدينة شاقور أنه جمع التجار والصناع وحذرهم من إثارة الفتن والإشاعات ومن عودة ابن مطر

فقال ضرغام : وحدثني أنه دس عددا من الفقراء يترددون على قصرك بكثرة بحجة الأكل والمعونة ويتحسسون الأخبار عن ابن الملك مطر من الملكة سيرة .. عليّ أن أكون أهلا للمسؤولية يا أماه .. والجبن لا يؤخر الأعمار ولا يقدمها .. ولماذا الإنسان يكون جبانا وضعيفا وخاصة عندما يكون ابن ملك مقتول ظلما ؟ وعليّ أن أرى قاتل أبي الحقيقي .. الرجل استغل ثورة العم طل وشجعه على قتل أخيه ليستولي على البلاد والعباد .

قالت باستسلام: افعل ما يطيب لك.. فأنت رجل وسيد ، وعليك أن تتحمل مسؤولياتك ما دمت ترى أنك أهل لها .. إذن إلى اللقاء .

بعد سفر الأم بيوم رتب ضرغام مع صديقه محسن أمر ترحيل الجواري والأبناء ، وتحركت قافلة محسن وسهام نحو بلدة أم محسن ، ولما وصلت القرية غمر الفرح جديلة ووالدها والأهل .. وذبح محسن لهم من بعض الشياه التي جلبها معه .. ودعا زوج أخته سيرة وخالاته للوليمة .. وبعد حين فارقهم للقاء صديقه الراعي وليد الذي كان يقود الغنمات الباقيات إلى مكان سيلتقيان فيه ، وهو مكان في وادي الظباء ، وهو يوصل ويمتد لبلاد الملك شجاع .



لقد شاع في مدينة الملك مطر أن ابنه الذي فقد صغيرا ، قد ظهر في المدينة وشاهده الناس ، ورآه بعضهم يتمشى في الشوارع ، ويشيع بعضهم أنه سيعود لتحرير المدينة من نير الاستعباد والظلم .

وصلت هذه الإشاعات لقصر الحاكم شاقور نائب الملك شجاع ، ودس جواسيسه بقوة على

قصر الأميرة سيرة ؛ لأنها أم الولد المفقود .. وكان الرجل متشككا من صدق هذه الشائعات، وإنما أحس أن وراءها شيئا خفيا يدبر في المدينة بعد هذه السنوات الطوال من السكون الحذر.. ونقلت له كل العيون بعدم وجود حقيقي لهذا الأمير المختفي .. فاجتمع الحاكم بكبار التجار والرؤساء للمهن والحرف وحذرهم من جديد من خطر التآمر على الملك ونوابه ، وحادثهم بالشائعات المنتشرة فوجم القوم ، وردد بعضهم أنهم سمعوا كما يسمع غيرهم .. والحقيقة أن بعضهم على اتصال بالحزب السري ؛ ولكنهم تظاهروا بالمفاجأة ، بل قام أحدهم أمام الحاكم ليقول : أيها النائب الكريم .. هذا الطفل علمنا قديما أيام الشباب أنه قتل على يد عمه الملك طل بعد قتله لأبيه .. خطفه واختفى صغيرا .

فقال الحاكم : هذا ما شاع .. ولكن الحقيقة التي أذكرها عندما غزونا هذه البلاد بالتحالف مع الملك المخلوع طل والوزير المقتول بهلوز أن الطفل كان مجهول المصير .. اختفى دون وجود جثته .. والملك طل لم يذكر أنه خطفه أو قتله .. ورجال ونساء القصر يجهلون مصيره .. عندما علمت أم الطفل الخبر سعت لديوان الحكم .. ولما عادت لقصرها علمت باختفائه واختفاء إحدى جواريه .. وبعضهم زعم أن الجارية المختفية أنها من قتيلات غدير الدم وهلكت هناك منذ خرجت لخدمة الملك .. لذلك لا عجب أن تظهر مثل هذه الشائعات في مثل هذا الوقت فالطفل أصبح شابا.. وأكرر أنه من يتآمر على سيادة الملك وعلى استقرار المدينة ، فلا يلوم إلا نفسه ، وجزاؤه الإعدام في السوق أمام كل البشر .

وكتب الحاكم رسالة للملك شجاع بهذه الإشاعات المزعجة .. والذي كان يجلس في ديوانه يتسامر مع الخلان والأصدقاء ، وقرأ الكاتب الرسالة على مسمع من أهل الديوان والحاشية ، فقرأ بعد التحية والتبجيل للملك "يسري في المدينة إشاعات مزعجة أيها الملك تقول " إن ابن الملك مطر كبر وأصبح شابا عنيفا غاضبا ناقما ..هذا الذي اختفى في حربنا مع بلاده .. فبعض الناس يزعم أنه رآه في المدينة يتمشى ، ويحرض الناس على حربنا .. ولما حركنا عيوننا ودققنا في الخطب لم نر أحدا أقر أنه رآه بعينه كلهم سمعت سمعت .. فلان قال.. فلانة قالت

وراقبت أم الطفل المفقود دون جدوى هي كما عهدناها عندما تسلمنا حكم البلاد منها ومن أبيها .. فهي ما زالت تطعم وتسقي الفقراء والمرضى .. اطلب المشورة والنصح .

حاكم المدينة شاقور النسر

فلما سكت الكاتب من القراءة للكتاب قال الملك موجها كلامه لأحد المخلصين له : ألم تتحقق من هلاكه يا سريان ؟

فرد سريان وتلفظ بسرياني أو سريانو: أجل يا مولاي .. لما سمعنا أن القوم كانوا يسعون لتكوين مجلس وصاية على ذلك الطفل الباقي من سلالة الملك الرعاد.. وصل رجالنا الخفيون إلى القصر ، ثم علموا أن الطفل خطف ، وأن إحدى الجواري الحواضن اختفت فجأة .. أثناء انشغال الناس وأهل القصر بموت الملك مطر ، وكانوا ينتظرون العودة بجثة الملك وحاشية الصيد التي رافقته إلى المصير المحتوم.. وزعم أهل القصر أن العم طل وراء حكاية الخطف .. وطل أنكر هذا الحادث .. ثم نسي الأمر ، ولم نعد نسمع عن هذا الطفل إلا بهذا الرسالة .. ولماذا تشاع هذه الأخبار؟ والبلاد مستقرة .. ولم تحدث حركة تمرد منذ عهد .. بل سعد الناس بتولينا مقاليد الحكم بدلا من المخلوع طل .. فقد كان في نظر الأسر الكبيرة قاتلا ومجرما لابن أمه وأبيه .

فقال الملك حاسما القضية : اذهب لتلك المدينة وتتحقق من حياة هذا الطفل ومن دقة الإشاعة ولماذا تشاع هذه الإشاعة ؟ ومن ورائها ؟!.. ودس جارية فطنة على الأم سيرة .. فالولد اليوم مبلغ الرجال فإن كان حيا فلابد أن يتقابل معها .. وإذا وجد من يحمسه على الاستيلاء على العرش فسيتحمس .. وأن قوما يسعون لإحداث فتنة وطرد رجالنا .. أنت رجل المهمات الشجاعة .

دخل الراعيان وليد ومحسن مراعي مدينة الملك شجاع ، واستوطنوا مكانا للرعي ، وقد كان بين أيديهم خمسمائة رأس من الغنم ، وعشرة من الإبل ، وحماران وجياد وعدد من الكلاب ، وفي زمن سريع تعرفوا على رعيان تلك المدينة والقرى التي تحيط بها .

وتعرف الرعيان على بعضهم يكون أكثره عند ورودهم لعيون الماء لسقي الأنعام والدواب، فيجري بينهم التعارف وسماع أخبار بعضهم البعض ، ولمن يرعون أي ملاك الأنعام؟ ولأي المدن والقرى يتبعون .



قضوا شهورا بين الرعيان يسمعون ويلتقطون أخبار المدينة (قدم الغزال) بلاد الملك شجاع ، بعد قضاء تلك المدة أخذوا يمشون للمدينة لبيع بعض الخراف للجزارين وشراء أشياء من ثياب وطعام .. ويدعون أنعامهم تحت وصاية أحد الرعاة .. ومرات يذهب ضرغام وحده يقضي في المدينة أياما بحجة البيع أو الشراء.. وقد عرف الشابان بهذا المدينة الأسواق الحفلات الجند العسس .. واستمر دأبهم هذا لمدة عام ؛ فأصبحوا كأنهم من سكان تلك المدينة .. قال ضرغام : الآن حان وقت العمل يا أبا عطية .. علينا وضع الحيلة لأسر أو قتل صاحبنا اللعين فقد عرفنا البلاد أرضا وماء وهواء .. علينا أن نختار الأفضل لتحقيق مبتغانا.. كيف نصل إليه ؟ .. أنا لي عنده ثأر، ودم أبي في عنقي وكرامة بلادنا .. فكرت بأسره وإذلاله .. ولكني وجدت هذا صعبا .. فهو حوله الحرس والجند .. فلاح لي أن قتله أسهل وأنجى لنا ، لنستمر في القضاء على القتلة .. والقصاص من جلودهم .. وتحرير بلادنا من تسلطه وظلمه .. ألديك شيء آخر ؟

قال محسن : منذ رافقتك في قضاء هذه المهمة النبيلة والعظيمة ..وأنا مثلك أفتش عن حيلة ماكرة تحقق مبتغانا.. وكيف نصل إليه في عقر داره؟.. ومهمتنا ليست سهلة وهينة.. فاغتيال ملك ليس كاغتيال راع مثلنا.. وفشل حيلتنا يعني موتنا.. ونحن ما دام قد قبلنا بهذا المهمة النبيلة لا تهمنا الحياة الذليلة .. وكلانا لا يخشى الموت.. فقد عشنا في الوديان والكهوف

والقفار والغابات والصحارى وصارعنا الوحش والذئاب والضباع والثعبان خلال هذه السنوات .. والأسر كما قلت يحتاج لجيش يحمي ظهورنا ويحمي بدن الملك .. والقتل غيلة هو الأسرع والأنجع لنا .. وقومه هل يصمتون على مصرعه ؟

ـ لو فكرنا بهذا أو هكذا لما تحقق لنا شيء .. الخطر موجود .. والثأر لابد منه .. وهم الذين بدأوا بظلمنا ، وعشت مظلوما ويتيما بغدرهم ومكرهم .. مع أن عمي كان معهم وشجعهم ولولا مساعدتهم وجشعهم ما استطاع عمي طل من فعل شيء ، وقد كانت الأمة مع أبي الملك الشرعي للمدينة .. سنقتل الملك ونؤسس جيشا قويا لغزو هذه البلاد وإذلالها كما أذلتنا والدنيا دول .. والفارس مقداد حوله جيش صغير كنواة لجيش الغد كما أخبرني .. فلحظة قتل الملك تعيد لبلادنا الهيبة والعودة للمجد.. وسنغزو بإذن الله هذه المدينة رغم ما سمعنا عن قوة جيشهم .. والأيام دول .. مهمتنا الأولى هنا اغتيال الملك شجاع حتى لو قتلت وبعدها يفعل الله ما يشاء

ـ أعلم ، وكيف الوصول لهذا الملك ؟

ـ تكونت عندي فكرة .. فكما غدر الرجل بأبي في رحلة صيد .. سنرقبه حتى يتحرك لرحلة صيد .. فنغتاله بين رجاله .. هو أرسل عدد كبيرا من الرجال لقتل والدي .. وسنقتله فقط أنا وأنت .. وأمل بقائنا على الحياة ضئيل .. وقومنا كما تعلم بحاجة لحياتنا .. وعمرو وعثمان ما زالوا أطفالا .. هل ينتظر الناس عشرين سنة أخرى ليسعوا للتحرر من نير وظلم شجاع وشاقور ؟ .. علينا أن نقتل الملك ونحافظ على حياتنا ليعلم الظالم أن الظلم عاقبته الموت والانتقام .. ولا يذهب دم الملك مطر هدرا .

ـ نرميه بالسهام عن بعد .

ـ وكيف نختفي ؟ هل يمكننا الاختفاء في الصحراء؟

ـ وبماذا تفكر ؟

ـ فكرت بالسم ؛ ولكن كيف نحقق ذلك القتل ؟ .. مع أنه لا يشفي الغليل !

انتقل ضرغام ومحسن إلى أكثر مكان صيد يتردد عليه الملك شجاع للصيد والنزهة .. أرادوا قتله عند غدير ماء لذكرى حادثة غدير الدم .. ليكون انتقامه مثيلا لذلك اليوم .. والإنسان سمي إنسانا لكثرة نسيانه .. فمع الأيام نسي الملك جريمة قتله للملك مطر غيلة وغدرا.. وجرائمه الكثيرة وتحرشه بالملوك وزعماء المدن ، ربما أنساه حادثة غدير الدم .. والصيد كان قديما من أفضل هوايات الملوك والأمراء .. وهو وسيلة لهو ولعب وصيد .. وفروسية .. فصيد البراري من الظباء والأرانب والثعالب والطيور يكثر في آخر فصل الربيع وأول الصيف .. ربض ضرغام ومحسن في خيمة في تلك المناطق بزعم الرعي والبحث عن الكلأ والماء .. وتنقل الرعاة بين المراعي والجبال والوديان شائع ومتكرر ولا يثير الخوف والقلق عادة لدى الحكام والأمراء .. فهم يعتبرون من الطبقة الدنيا في أغلب المدن والقرى .. وبعد حين من الترصد وطول الانتظار وصلت الخيام الملكية والخدم والسقاة وأهل الطرب ، وأقاموا معسكرا للملك القادم .. وقدم الراعيان شاة كضيافة لهم ، وقبل الطهاة الشاة المشوية وأكلوها قبل قدوم الملك وحاشية الصيد، بل سر القوم من فعل الرعاة .. وابتعد الراعيان بغنمهم عن غدير الماء .. بحجة البعد عن الملك وحاشيته .. ولكنهم يذهبون كل يوم بشاة كهبة للقوم .. فصارت بينهم وبين المعسكر صلة مقبولة واطمأنوا لهم .. وأصلا من يهتم لراعيين شابين ؟ .. ولما وصل الملك شووا ثلاث شياه ، ولما نضجت قدموا بها لمعسكر الملك ، وقدموها لسيد الطهاة الذي شكر اهتمامهم بضيافة الملك ، ووعدهم بمقابلة الملك ليشكرهم فسعد الملك وحاشيته من ضيافة الراعيين ووعد بلقاء الرعاة لشكرهم واجزائهم بالهبات الملكية ..



والليلة الثانية قدما بثلاث شياه أخرى .. وقدمها سيد الطهاة للملك الذي صافحهما ورحب بهما ، وتعرف عليهما فذكروا بلدة يعيشون فيها ، وربما هي غير موجودة في المنطقة .. وهما تحدثا مع الملك بشجاعة ومكر .. ثم أخرجهما رئيس الطهاة وهو يثني عليهما ، ودفع لهما هدايا الملك .. وعلموا من الطاهي أن الملك شره في تناول اللحوم .. وفهما مغزى هذه الإشارة فهم يريدون المزيد .. وعلموا منه أن الصيد لم يكن كبيرا وكثيرا هذه الأيام بعد .

وذهبوا بشياه في الليلة الثالثة مشوية .. وسر الملك أيضا من صنيعهما وكرمهما .. وفي الليلة الرابعة دسوا السم القاتل الذي وفروه من عند العطارين وجربوه على بعض الحيوانات .. وغامرا بدسه في الشياه بعد نضجها تحت النار .. ولما أخذهما منهما كبير الخدم والطهاة أهداهما جوادين صغيرين ..

وكان الشابان قد تأخرا تلك الليلة في إرسال الطعام بعذر تأخر نضج الأكل ليقدم إلى الملك فور وصوله .. وفعلا لما وصلت الشياه المشوية استلمها الخدم ووضعوها أمام الملك وحاشيته فور وصولها .. وانصرف الفارسان على ظهر الجوادين الصغيرين بسرعة لا توحي بالهرب .. لأن السم لا يظهر مفعوله بسرعة يحتاج لساعات .. وغرق القوم بالأكل والمرح والمزح .. والثناء على طهي الرعاة بشير ومبشر .. وكيف تعلموا هذه المهارة وهم رعاة ؟! .. وضرغام ومحسن أسرعا بالابتعاد بغنمهم إلى البراري والوديان .. وابتعدوا مسافة بعيدة عن غدير الماء يتربصون الأخبار .. وكان عادة يقدم الطعام للملك ورجاله أولا وبعد شبعهم ، يقدم ما بقي للخدم والجواري .. وفي الصباح أصبح القوم هلكى موتى إلا القليل لم يمت ، ربما لأنه لم يأكل الكمية الكافية لصرعه .. ولما استطاعوا العودة للمدينة وطلب النجدة من أهل المدينة .. كانت جثث القوم قد دهمتها الحيوانات التي أقبلوا يصيدونها .. فنهشت تلك الجثث من الطيور والضباع والكلاب .. وأدرك سادة المدينة أن الملك تعرض لمكيدة محكمة .. وبحثوا عن الراعيين الذين تحدث عنهم من نجا ولم يمت .. وأما الراعيان فقد باعوا إبلهم وغنمهم وخيولهم في مدن شتى ..

وقد علا الصياح في مدينة قدم الغزال ، وأعلن الحداد أربعين يوما ، وعين ابن الملك ملكا جديدا واسمه دغفل .

خلع وليد ومحسن ثياب الرعيان ، ولبسا ألبسة الشحاذين والمتسولين ودخلوا مدينة قدم غزال على أنهم أبناء التسول .. ومن يراهم يدرك أنهم من سادة المتسولين.. الذين يتنقلون بين المدن طلبا للحياة والدراهم.. وكان ضرغام يتظاهر بالعمى ومحسن بالعور .. وعرفا بكل أخبار المكيدة وأن البحث جار عن الراعيين الخائنين .. وتمنى ضرغام لو استطاع أن يقف أمام الملك شجاع وهو يموت ليقول له متشفيا " قتل بقتل " "أتذكر غدرك بالملك مطر؟! "

وصلت أخبار مصرع الملك شجاع لمدينة الرعاد التي كانت تحمل اسم مدينة ضبعة ، وسماها الملك الرعاد مدينة الرعاد باسمه .. وصل الخبر إليها بأن راعيين قاما بالغدر بالملك ورجاله على غدير ماء ، فقالت سيرة لمقداد " أتراهم وفقوا بما شاع إلينا ؟"

" أظن أنهما وصلا لقتل الملك .. ولكن لم نعلم بنجاتهما أو موتهما .. سأرسل رسولا خفيا يسمع الخبر اليقين "

وعم السرور عند أهل المدينة بهذا الخبر ، وتمنوا اغتيال الحاكم شاقور .. وبدأ أعوان الملك مطر بالاستعداد لإظهار ابن الملك مطر مطالبا بتاج البلاد .

أخذ رجال الأمير مقداد والقائدان الفهر وابنه فوزان يستعدون للحظة التاريخية بإعلان البدء بتحرير البلاد بالقوة والسنان والانقضاض على الحكم .

مدينة شجاع

قضى الشابان شهرين في مدينة قدم غزال ، ولاحظا الصراع الخفي على السلطان ، فبعد الفشل في العثور على الراعيين نسي أمر اغتيال الملك ، ولم تعرف الجهة التي كانت وراء القتل .. فأعداء الملك كثر .. فقد قتل كثيرا من السادة والأمراء ورؤساء وتجار المدن .. وكيف تمكن هذان الراعيان من خداع الملك ورجال صيده ؟! وهم أهل الفكر والفطنة والقوة ، واشتهر قول الوزير (صندوق) : إن أعداءنا لا يحصون ؛ فإذا لم يعلن القتلة عن أنفسهم فلن نعرفهم . فلما فهما المدينة وأهلها ومشاكلها ابتاعا جحشين ، ومشيا بهما نحو بلادهما ، ولما استقرا فيها ليلة واحدة مشيا مع غروب اليوم بزيهم إلى قصر الأسد ، وطلبا الطعام فأدخلهما الخادم بعد موافقة الأميرة إلى قاعة الطعام ، وقدم لهما الخدم الطعام ، وبينما هما يبلعان الأكل والطعام قال ضرغام للخادم " أين الأميرة ؟ نرغب بنقل رسالة لها "

قال الخادم بدهشة وعجب : أنتما المتسولان ترغبان بنقل رسالة للأميرة ! ما هي الرسالة "

ـ قل لها رسالة من الراعي وليد .

نقل الخادم الرسالة للأميرة ، وتفاجأ وزادت دهشته أكثر عند طلب الأميرة منه البحث عن زوجها وألا يسمح للخدم من دخول قاعة الطعام ..

واجتمعا بالملكة والأمير زويد المقداد بالحجرة السرية ، وسرت الأم من انتقام الأمير لأبيه، وطال احتضانها له ، وكانت تبكي وإياه على روح الملك مطر ، وقالت : نعم الابن يا ولدي .. لقد أثلج صدري نجاحك بالثأر لأبيك .. ونجاتك .. فأنت الملك اليوم .

وقال مقداد : أنت بطل البلاد! .. وهذه جسارة وذكاء منك يا ولدي! لا عدمتك الأمة.. بوركتم .. والبلاد تستعد للثورة على نائب الملك .. فما العمل أيها البطل ؟

ـ كم لدينا من الجيش الذي هو مستعد للضربة الأولى؟ .. ولإعادة المملكة الأولى .. التي قتلت قبل عشرين سنة .

ـ لدينا من الرجال الخلص ما يربو على خمسة آلاف بطل .. وهناك مثلهم متعاطفون معنا ؛

فإذا نجحنا في الضربة الأولى سيتشجعون للوقوف معنا وسيلحقون بنا عند التغيير ..

فقال ضرغام بحماس: جميل هذا ! بعد صلاة الجمعة سنزحف لقصر الحاكم .. في قصر الإمارة ونقتل الحامية عن بكرة أبيها.. وعلى بعض الأفراد أو المجموعات الصغيرة .. إعاقة القادة خارج قصر الحكم .. وليكن الدم هو الحكم بيننا .. لأننا إذا فتكنا بكل هؤلاء الأنذال دون هوادة.. سيقذف الرعب في جند مدينة قدم الغزال .. لأننا سنهاجمها فور انتصارنا هنا .. حتى لا يتمكنوا من الكرة علينا .. لابد من الإقدام .. فهل هذه الآلاف مستعدة للثأر؟ .. لأننا يا أمير مقداد إذا عفونا عن هؤلاء سيقاتلوننا .. الحياة أو الموت ... سنزحف إليهم ليكون بيننا لقاء فاصل .. لن نترك لهم فرصة التدبير بهدوء .

قال الأمير جذلا : يا الله يا سيرة ! إني أسمع كلام جدك الرعاد أيها الملك؟ وأخشى أن لا يقبل رجالنا بهذا العنف والدم ..

ـ وهل ننتظر حتى يلملم الملك دغفل فلولهم ويغزوننا في عقر دارنا ؟ .. ألف فارس يكفون للزحف لتلك المدينة .. ألف يحبون الموت على الحياة .. ألا يوجد ؟

ـ يوجد ، وهل تآمرنا وصبرنا من أجل الحياة يا ضرغام ؟! الذي كان ينقصنا الرأس الذي تخضع له الرجال والفرسان .. فلو وجدنا رأسا من أسرة ملكينا الرعاد لحصلت الثورة قديما ؛ ولكن لكل أجل كتاب .. الجمعة موعدنا ستظهر للقوم عند انتهاء صلاة الجمعة .. وسيكون جواديكما معدين .. لإظهارك للناس والأعوان ..

فقال ضرغام بحماس : الجمعة أمام المسجد الكبير .. رتب الأمور مع الأعوان والمناصرين للثورة .. إما الحياة السعيدة وإما الموت الشريف . فاحتضنه المقداد وعانقه وقال سعيدا : عنفوان جدك أراه فيك! .. كان جدك الرعاد يحب الحسم في الخطب .. فقد أدركت جدك وأنا في مقتبل العمر .. إما الحياة الكريمة العزيزة وإما بطن الأرض .. الحياة بذل كارثة أيها البطل ستبقى مختفيا هنا إلى يوم الجمعة .. وثياب الملك بين يديك خلال الأيام التي تفصلنا عن الجمعة .. نحيي أم الملك البطلة الشجاعة التي ولدت لنا هذا الإنسان الشجاع .

فقالت لزوجها وهي تبكي : كنت نعم الزوج .. والأخ الشجاع .. وهذا ما كنت انتظره من قدر الله .. أن يعود الملك لابن الملك وأن ينتقم لدم غدير الدم ..احتضن الأمير زوجته شاكرا
كان رجال الحامية والحاكم يحكمون المدينة بسيف الملك شجاع، ومكر الجواسيس والخونة ضعاف النفوس ، وهم منذ سنوات يشعرون بمكر يجري في قلب المدينة منذ ظهور إذاعات عودة ابنة الملك مطر.. وبحثوا وقلبوا وسألوا وأتى سريان أمير الملك شجاع وفتش وتحرى دون فائدة.. وبعد مقتل الملك شجاع غيلة.. زادت الإشاعات دون أن يظهر شخص أو زعيم يطلب شيئا .

كان مهمة الحاكم الأساسية جبي المال من التجار والأغنياء وإرساله للملك ، أما الشرطة والقضاة فهم الرجال السابقون من عهد الرعاد ومطر وطل .. ولا يتدخل الحاكم إلا عن الضرورة أو دخول أحد أفراد الحامية بقضية مالية أو أخلاقية كاعتداء أحدهم على أنثى فيضطر لإنقاذ رجله .. فهم لم يكونوا قوة كبيرة فهم أقل من مائتي رجل .

وخلال اليومين السابقين للجمعة أحس رجال الحامية بشيء مثير وكيد في المدينة ولكنه غير واضح مبهم .. لا أحد يطلب ملكا .. وكانوا متوترين دون تحديد سبب حقيقي .. وكانت حركة الثوار تسري بسرية أربكت العيون وأعوانهم .. ولما سلم الإمام من صلاة الجمعة في مسجد المدينة الكبير ، وقف شاب ذا صوت جهوري وخطابي معروف لأهل المدينة ، وأعلن بصوت جهوري للناس أن الملك ضرغام ابن الملك مطر وصل المدينة وأنه أصبح ملك البلاد والعباد.

ووقف ضرغام بثيابه الملكية وبرز أمامهم ، وقد أزال العباءة عنه ، وأعلن نفسه أمامهم بأنه ابن الملك مطر وحفيد الملك الرعاد ، وأنه صاحب الملك الحق لهذه المدينة ، وأمرهم بالزحف إلى قصر الحاكم .

وارتفع الهتاف والاحتفاء بالملك الجديد . ولم يكد يخرج من المسجد ، ويركب الجواد حتى زحف الفرسان على قصر الحاكم من عدة جهات .

اقتحم أهل المدينة الحامية بعد قتل الحرس بسرعة الريح ، ودب الصراخ والعويل وقتل الرجال والشباب ، وجمعت النساء والأطفال خارج المدينة ، ولم يأت الليل حتى كانت الحامية في خبر كان ، ولم ينجُ من الانتقام إلا من كان في تلك الساعة خارج المدينة .. وقتل أكثر الجواسيس المعروفين للناس ، وكذلك الأسر الخائنة تعرضت لمثل ذلك.. وفي الليل على ضوء المشاعل دخل الملك ضرغام قصر الحكم .. وقد أخرجت الجثث من القصر وقلعة الحكم .

وفي الصباح أمر الملك نساء وأطفال الحامية بالعودة لبلادهم ، وإخبار ملكيهم بما حل برجاله.. وبعد تطهير المدينة من الدم والخونة الذين تعاونوا مع الخونة في ظلم المدينة .. أمر الملك بالاستعداد للزحف إلى بلاد قدم الغزال لاسترداد الأموال والانتقام للأمراء والناس الذين قتلوا خلال سنوات حكم الظلمة .

وفعلا كان الملك دغفل قد أمر أحد أشقائه بالإسراع للثأر من مدينة الرعاد ، والتقوا في الطريق وهجم فرسان الملك ضرغام المتحمسون للنصر ، فقتلوا حملة الأمير سري ومن هرب تبعه الفرسان بكل حماس وفرح ، وجمع الملك ضرغام جيشه ومن تبعهم بعد انتهاء معركتهم مع فرسان الأمير سري الذي هلك أثناء القتال وخطب الملك فيهم خطبة حماسية وأهمية إذلال الأعداء الذي نهبوا أموال البلاد مدة عشرين سنة فقال : لابد من متابعة القتال فمن يطمع بالحياة فليستقر هنا أو يعود.. أما أنا وأخي محسن وزوج أمي مقداد سنتابع الحرب ، وسنقاتل حتى نملك بلادهم كما ملكوا بلادنا.. ونجلب عمي الغادر طل من سجنهم ليموت في سجننا وسيحاكم على جرمه من جديد .

فلم ينسحب إلا عدد يسير ووصلت دفعات جديدة متحمسة للقتال والثأر ، وزحف بهم نحو بلاد قدم الغزال .



تقدم الجيش المتحمس نحو بلاد الملك دغفل واصطدم الجيش بشرذمة من جنودهم لم يثبتوا سوى سويعات ، وفروا مندحرين لمدينتهم التي أرسلت وفدا للتفاوض مع الملك الناقم .. فلما جلسوا في خيمة المفاوضات قال لهم ضرغام : أنتم قتلتم أبي غدرا وتآمرا بذريعة معاونة عمي المجرم اللئيم الخائن لدم الأسرة.. ثم استوليتم على البلاد ، وسرقتم أموالها منذ أكثر من عشر سنوات .. اسمعوا بعد هذا الكلام شروطي لوقف الزحف وقبول الصلح .

فقال الوزير : نحن نعترف بحقكم علينا.. وخطأنا نحو بلادكم .. وأعتقد أن قتلكم للملك شجاع وابنه سري والأمير شاقور ورجال الحامية كفاية لإراقة الدم ، ولنسع للصفا والوئام ، ونضع معاهدة تبقى لكل الأجيال، تنص على السلام بيننا وعدم الاعتداء على بعضنا البعض ما دامت ممالكنا قائمة

تبسم الملك ضرغام وقال: هذا الكلام لو قيل قديما لربما قبله سادة وأمراء المدينة .. أما اليوم ونحن نتكلم بلسان المنتصر لابد من تحقيق شروط الصلح والسلام .. لست طامعا بحكم بلادكم .. لم اشف غليلي من الانتقام لدم أبي ورجال حاشيته الذين قتلوا معه على غدير الدم غدرا وخيانة .. فاسمعوا شروطي حتى لا أدخل المدينة فاتحا ، وإذا رضيتم بها أوقفنا القتال وسفك الدماء .. فأنا منذ عرفت من أنا ولهيب النار يغلي في قلبي ؟! الشرط الأول تسليم العم الخائن ، والثاني أن تعاد الأموال التي نهبت من بلادنا على مدار هذه السنين ويمكنكم دفعها على بضع سنين .. وعليكم إيفاد مائة أمير ولو بعائلاتهم ليكونوا كرهائن في بلادنا لمدة عشر سنوات .. وأي غدر وخيانة يطيل مدة حجزهم .. وألف جواد ومن الدواب الأخرى مثلها ومن السيوف والرماح وديات قتلانا طول هذه السنوات كلها .. ومائة فتاة كزوجات لشبابنا العزاب.. أو الحرب ، فهذا شروطي أنا أيها الوزير وإذا نسيت منها شيئا بعد ثلاثة أيام فهي الحرب .. وغادروا فورا أيها الأسياد .. والقتال يفصل بيننا .

حاول رئيس الوفد أن يتكلم ، فمنعه رجال الملك من الكلام ، فخرجوا مسرعين مولولين .

ولم علم أهل المدينة بشروط الصلح منهم من رفض وبعضهم قال " نخسر القليل خير من

الكثير وكل البلد "

وفي نهاية المطاف أرسلوا موافقين على كل شروط الملك ضرغام ، وقبلوا بشروط الغالب .

ولما وصلت الأموال والعم الأسير الذي رفض ضرغام رؤيته واللقاء به ، وطلب نقله مكبلا ذليلا لمدينة والده ، ووصلت النساء المائة وأسر الأمراء الرهائن ، وعقد الاتفاق بعد ذلك .

رحل ضرغام عن المدينة بالجيش ودخلوا البلاد سالمين غانمين، واستقبل الجيش المظفر بالأفراح والاحتفالات، وتوج الملك ضرغام ملكا على مدينة الرعاد، ووضع الرهائن في قصور تحت حرس من الجيش بقيادة القائد الشيخ الفهر وأبنائه.

وزعت الأموال على أهلها من الجنود والأسر التي فقدت الأبناء .. وأخذ الهدوء يعود لبلاد الرعاد بعد عشرين سنة من الاستعباد للطاغية شجاع .

عين الأمير محسن أميرا للحرس الملكي ، والسيد زويد المقداد زوج أم الملك وزيرا لإدارة البلاد والعباد.. ووزعت المناصب والرايات عن طريق الوزير مقداد



قلعة الملك ضرغام

لما رأى الملك ضرغام وأمير حرسه استقرار البلاد أخذ الملك يفكر ببناء قلعة حصينة للحكم ، وسعى باحثا عن المكان الملائم ، فوجد جبلا عاليا شامخا في السماء ؛ ولكنه خارج أسوار المدينة القديمة ، يبعد عنها بضع ساعات فقال له الوزير مشجعا "بعد حين سيمتد إليه العمران "
ولما بدأ البناء والإنشاء طلب الأمير محسن من الملك زيارة قرية جديلة لإحضار أسرهم ، فقد حان الوقت لإحضارهم والعيش بينهم فقال ضرغام : أحسنت أيها الأخ الشجاع .. وأعلمهم أن المملكة ترحب برحليهم لمدينتنا .. واعرض عليهم عرضنا أيها الشجاع .. وأقنع أمي بالمسير إلينا على الرحب والسعة ..
صحبت الأمير كوكبة من الفرسان الذين ظهرت شجاعتهم في المعارك الأخيرة للمدينة ، وكان الأمير في أول الأمر رفض أخذ رفاق إلا ثلاثة قائلا : يكفي ثلاثة يا مولاي ولن تطول رحلتنا .. كنا نجوب الأرض جبالا ووديانا قفارا براريا دون خوف إلا من الله وحده .
" أنت اليوم قائد معروف للأعداء والماكرين والمتربصين.. لنا خصوم قبلوا الهزيمة على مضض "
" أسراهم هنا "
" الأمر تغير أيها الشجاع .. إذا لم تقبل الأم المجيء ، فقدم لها تحياتي وشوقي الكبير إليها.. وأختي سيرة عليك بتشجيعها مع أسرتها للحياة في ظل ملكنا .. فلن أنسى عشرين سنة عشتها بينهم.. فقد شاركتك لبن أمك.. رافقتك السلامة والحماية الإلهية "
وكان الملك أمر أمين الخزانة الملكية بتجهيز عدة بغال بالثياب والطعام لأهل قرية جديلة ، وقبل محسن هدية الملك شاكرا عطفه ووفائه .. وفي لحظة الوداع أعطى الملك لصديقه عقدين من الجواهر واحد لأمه وآخر لأخته سيرة .. ولما مشى الأمير لأم الملك مودعا أعطته بعض الهدايا النفيسة لأمه وشقيقته وجده ، فهي التي ربت ولدها ، وصنعت منه رجلا فارسا عفيفا شريفا شجاعا، ورغبته بدعوتهم للانتقال إليهم ، لتقوم بإكرامها وإظهار شكرها ومنّها لها ..

فقال " كلفني الملك بهذا ، وسأسعى إليه .. أمي لا تحب الخروج من البلدة البتة يا أماه "
استمرت القافلة تسير وتسير حتى حطت رحالها في قرية جديلة القرية التي ترعرع فيها الملك ضرغام بين جبالها وسهولها ومياهها ، واحتفل الناس بالقافلة ، وكانت الناس تتسمع أخبار الملك ضرغام وانتصاراته على مدينة قدم الغزال ، وقد سارت الركبان والرعاة والقصاص بأخباره بين القرى والمدن والبادية ، وخطب الأمير محسن بجموع المستقبلين والمتجمهرين ، وذكر لهم دعوة الملك لهم للحياة في مدينة الرعاد تحت كرم وحماية الملك ضرغام الذي عاش بينهم لظروف خطيرة أحاطت به ، وهو يعتبرهم أهله وعشيرته ، ومملكته مفتوحة لهم .. وحث الشباب إلى الالتحاق بجيش الملك ضرغام ، ومن وجد في نفسه رغبة فليستعد للذهاب معه بعد أيام .. ووزع عليهم هدايا الملك من ثياب وأطعمة من زيت ودقيق وبهارات وملح .

غمرت الفرحة أم محسن وطال عناقها لولدها ، وذرفت دموع الفرح والحب ، وفعلت سيرة بشقيقها ما فعلت أمها .. وذكر لهم بعدما أعطاهم عطايا الملك وأم الملك دعوة الملك وأمه بمسيرهم إليه والحياة في كنفه .

أولم أهل القرية للأمير وحاشيته وليمة كبيرة ، وهو في الأيام التالية أولم لهم وذبح لهم بعض البعران التي صحبها معه محملة مع البغال بالطعام والهدايا الملكية، وعمت الأفراح والخيرات القرية الصغيرة التي لا تزيد عن ثلاثمائة نفر.. فهم أهل الملك في فترة طفولته واختفائه .



قضى محسن خمسين يوما في قريته الصغيرة ، وجند ما يقارب خمسين شابا دون العشرين للسفر معه والانضمام لجيش الملك ضرغام ، ووعدته أمه بالسفر للمدينة حيث الملك عندما تتحسن

صحتها العليلة تلك الأيام، ويصعب عليها ركوب الدابة لسفر طويل .

ودع القوم فارسهم بكل حب وفخر، وتحركت القافلة مسافرة وبصحبتها الشباب المتحمس للالتحاق بجيش الملك، وكان محسن قام بإعطائهم التدريبات الأولية .. وصحب القافلة أيضا الجواري أمهات الأولاد ، وكانت إحدى جاريتي ضرغام قد ولدت له أثناء انشغاله بالانتقام ، فقد تركها حاملا ، فوضعت له طفلا لم يسموه بعد لانتظارهم سيدهم ، وكان أثناء هذه الرحلة قد أصبح قادرا على المشي وبينما هم في الطريق خرجت عليهم عصابة كبيرة فأعلمهم الفارس أن هذه القافلة

تخص الملك ضرغام صاحب مدينة الرعاد ، فأصروا على الاستيلاء على الأموال والنسوان ، فاحتار محسن في حل هذه المعضلة فالذين معه شبان صغار وفلاحون ورعاة صغار ، وهؤلاء من عتاة اللصوص وقطاع الطرق ، فتشاور مع القوم والفرسان المرافقين للقافلة فهم حوالي عشرة فرسان ، فقال " لو قاتلناهم سنخسر البعض ، فهم يركبون الجياد وفرسان ولصوص متمرسون على الفساد في الأرض .. والاستسلام لهم مهانة وذلة .. أشيروا عليّ أيها القوم "

فقال أحد الفتيان: لو قاتلناهم وخسرنا البعض منا فهل يسلم الآخرون وننتصر عليهم ؟

ـ النصر أولا بيد الله وحده .. ثم عزيمتنا وصبرنا يحقق لنا النصر على الظالمين .. هم مسلحون بكل السلاح .. ولكننا نستخدم الحجارة لإعاقتهم ، ولا وقت لطلب النجدة

واستمع لأقوال الفرسان ، وسمع الأقوال المتضاربة ، بعضها يشجع على القتال وبعضهم يشجع على التفاوض وتسليمهم الدواب ، ومتابعة السير على الأقدام فقال أحدهم " وجواري الملك "

فقال محسن بشجاعة واعتداد نفس : أنا الموت خير لي من الاستسلام والخضوع لهؤلاء الأنذال ولكن حياة النساء والشبان مهمة لي أيضا .. سأطلب مبارزة رئيسهم ؛ فإن قتلته ضعفوا وهربوا ، وإن قتلني فافعلوا ما ترونه مناسبا .

ثم عرض على العصابة المبارزة فرفض زعيمهم هذا القول وقال " نحن نقاتل جميعا "

وشكلوا قوسا واستعد الفرسان للقتال ، وبعد حين نشب القتال وقاتل الفرسان ببسالة، وقام الشبان برشقهم ورمي الحجارة على العصابة بقوة وحماس ، وحمي الوطيس، وفجأة ظهر في الميدان فارس يصيح بقوة " أنا الفارس دعسان عيار الملك ضرغام .. يا ويلكم .. الفرسان ورائي " ، وخاص فيهم يضرب عن اليمين وعن الشمال ، وتبعته مجموعته من العيارين .. فهؤلاء الرجال أمرهم الملك بعد رحيل محسن برصد الدرب بين المدينة والقرية .. فالملك ضرغام فعل ذلك عن مشورة الوزير مقداد.. فظلوا يتنقلون بين المكانين حتى علموا بخروج الأمير من قريته .. فسبقوهم بأيام .. وتأخر بعضهم لمتابعة القافلة .. ولما رأى ما تعرضوا له من قطاع الطرق أسرع إلى أميره دعسان ونبهه للخطر المحيط بمحسن .. فأسرعوا بالعودة حيث الحصار .. وفتك دعسان وجنوده باللصوص فتكا ذريعا ، وشكر محس للملك فطنته.. وقد تعرض محسن لبعض الجروح الخفيفة ، وكذلك بعض الفرسان ، وأبلوا بلاء حسنا أثناء المعركة ..

وانتهت المعركة بمقتل عدد من اللصوص وهرب الكثير منهم.. وأمر محسن بدفن الجثث، وشكر دعسان على شجاعته وشجاعة رجاله الذي قال : معذرة أيها الأمير نحن تبعناكم منذ خروجكم وكنا نتابعكم.. ثم تقدمنا عنكم بيوم أو يومين .. خدعتنا الظواهر .. وقد تأخرنا في نصركم ..

وتابعوا المسير إلى البلاد.. وحمد الملك ربه على نجاة شقيقه في الرضاعة محسن ، وطلب الملك من العيار دعسان معرفة مستقر هؤلاء المجرمين ؛ ليخرج لهم بنفسه ليقضي عليهم لعدم اهتمامهم بشخصه والاعتداء على أطفاله وأهله .. ومحاولة سلبهم ، وهم ذكروا لهم أنهم من أعوان الملك ضرغام .. وأمر طبيبه الاهتمام بجروح شقيقه وسائر الفرسان .

وخرج دعسان عيار الملك ببعض رجاله يبحثون عن وكر العصابة، وأعداء الملك فهذا من مهمات العيارين في تلك الأزمان مطاردة اللصوص وتعقبهم وإفشال أحلامهم .

وسعد الملك بزوال الغمة ، واطمئن على حياة الفرسان، وأن الجروح لم تكن قاتلة وعميقة ..

وسعد بذريته عمرو وعثمان ، وسمى ولده الذي ولد أثناء عراكه مع الملك شجاع وشاقور عمر ، وهو أحد الخلفاء الأربعة الأوائل للأمة المحمدية .. والتسمي بأسماء الصالحين من دأب الأمم .. ولما تعافى محسن من جراحه أمر الملك الاحتفال بعودة أبناء الملك وأخيه محسن .



حكم ضرغام

ثم ما لبث أن عادت الحياة لطبيعتها في بلاد الرعاد.. ودخلت الملكة الأم من جديد على ولدها تحثه على الاقتران بأميرة من الأميرات بنات الأسر العريقة ؛ لينجب وريثا حقيقيا للعرش يجمع شرف الأب والأم ، وليعزز استقرار الملك في أسرته فقال الملك رادّا على اقتراحات أمه : يا أماه عندي جاريتان حسناواتان ولودتان .. أنت وهبتيني إياهنّ، وهما من أفضل جواريك كما أخبرني العم مقداد ، ووهبني الله منهما ثلاثة ذكور .. فسلامة ولدت عمرو وعمر ، وجمالة ولدت عثمان .. فلماذا المزيد من النساء ؟! أليس هم أبناء لي ويحملون اسمي أمام الخلق والبشر ؟ ونحن أمامنا بعد عشرين عاما من الأسر تنظيم المملكة من جديد ..

فقالت سيرة معقبة : كأنك ولدت ملكا يا ولدي رغم حياتك في قرى الفلاحين .. إنك مثل جدك الرعاد الذي حملت هذه المدينة في آخر عهده اسمه .. فقد كان حكيما في إدارة الحكم ورعاية الخلق ، وكان حازما عند الحاجة للحزم .. رحم الله والدك كان قويا وملكا ؛ ولكنه كان يميل للهو والصيد كثيرا ، ويترك الحكم لأمك الضعيفة، وجدك غزال الشيخ الكبير .. ورغم وجودي في ديوان الحكم فقد كان الرجال يتحرجون من الإفشاء إليّ بالأخطار مباشرة ورغم هرب عمك والوزير بهلوز وابنته وأفراد عائلته لم يكترث والدك كثيرا للخطر الذي يشكلونه على الحكم والملك.. وكنت أنبهه للتخفيف من الابتعاد عن المدينة بصيده .. وأن الأعداء يتربصون به، فلا يسمع ويظن أن ذلك مبالغ فيه .. ومن خوفي الزائد عليه .. الإنسان البسيط له أعداء وخصوم في حياته فكيف بالملك ؟! فمهما وصل الأمان لابد من الحيطة والفطنة .. فأهل الحقد والحسد والشر موجودون ويمكرون .. والملك من أبناء الأشراف له أثر في غابر الأيام ولاحقها .. الأسر العريقة في الشرف تحترم الشرف والنسب .. فعندما يكون الملك شريف الأبوين يرون طاعته دينا .. وابن الجارية سيبقى يعير بها .. رغم أن هذا من فعل الجاهلية لكن الفخر بالنسب ما زال ..

فقال متنهدا بعمق: عندما يكبرون نزوجهم من بنات الأشراف يا أماه .. فيحرزون الشرف

الذين تشرين إليه .. فأخشى أن يتجدد الصراع بين الأخوة إذا ولدت لنا أميرتك ذكرا ، وصار ملكا، فسيجد الرجال الذين حول عمرو من ذلك فرصة للدس والطعن .. فبعد حين ستتغير النفوس .. ويظهر الفساد في رجالنا وأبنائنا .. لا أريد أن يبرز الصراع على العرش.. إني أفكر بنظام محكم يبعد الصراع بين الأخوة على التاج .. الملك من بعدي سيكون الابن الأكبر عمرو الذي يزيد عن أخيه شهرين أو ثلاثة .. والذي يعيش سيكون سيد المدينة الأول.. وسيعلن عمرو وليا للتاج قريبا يا أمي .. أرأيت عندما لم يعين جدي الرعاد وليا لحكمه أتاح المجال لالتفاف الناس حول الأخوين ليكسب كل منهم صحبة الملك ؟ .. وهذا صراع كما فهمت من العم زويد المقداد بدأ في حياة الجد .. والسادة الكل يقامر ويريد أن يكسب .. وقد أتاح هذا التجاهل أن تضيع البلاد والعباد بين أبي الملك مطر وذاك الخائن طل .. فالمرأة الأميرة التي ترغبين بتزويجي منها مهما كانت طيبة ستسعى ليكون ابنها الملك ، وستجمع حولها من السادة من يشجعها على السعي بوصول ابنها للحكم بزعم أن أمه أميرة وشريفة .. وهو الأحق بالعرش .. وسيبدأ الصراع خفيا ثم يشتد.. وعمرو سيقول أنا الأول أنا الأكبر .. إذا أحسنت ترتيب أمور ولاية الحكم .. سأتزوج أميرة من أجل خاطرك يا أمي

ابتسمت سيرة لهذا الوعد فتابع الملك : سمعت بأميرة وأنا أهاجم مدينة شجاع تتحدى الرجال والشباب وأنها لن تتزوج إلا من يهزمها ويقهرها في السيف والمبارزة .. فأفكر بالمسير إليها خفية والنيل منها ونكاحها

ضحكت سيرة وقالت : ما هذا الكلام يا ولدي ؟ أنت اليوم ملك وسيد تفكر بالزواج من مغامرة .. أي زواج هذا ؟! وهل تختلف النساء ؟ تتخفى وتبارز فتاة !

ـ أحب المغامرات ؟

ـ نسيت خطر مدينة شجاع .. لابد أنهم يستعدون لحرب جديدة .. ولو بعد حين

ـ لا أتصور أن يرفع لهم رأس قبل خمس سنوات على الأقل

وبعد صمت قصير تابع قائلا : فالصدمة ما زالت تسيطر عليهم .. الصراع مستمر ؛ ولذلك

رغبت بأخذ رهائن.. ولكن الوقت ينسيهم إياهم ويعتبرونهم أمواتا .. لذلك لابد من تقوية الجند ، وإظهار قادة جدد له .. فسيظهر أجيال في مدينة غزال يرون أننا ظلمة.. وعلينا أن نبني أجيالا هنا لمثل هذه اليوم.. وأنا بعد عشر سنين بإذن الله سأنهي ما بيننا من ضغائن وأكون خيرا منهم .. يجب أن يشربوا من الكأس التي شرب منها أهل مدينتنا ..

ـ المهم عندي أن لا تفكر بأميرة تتان .. إنها أنثى لا ترغب بالزواج .. إنها رجل بثياب أنثى .. وهل خلقت المرأة إلا لتكون امرأة وزوجة وأما ؟ .. لذلك اختلقت تلك الأنثى ذاك التحدي وربما هي أكبر منك سنا

ـ نحن قريبان في السن .. أنا فكرت بالسير إليها بعد استسلام الأعداء .. فهل ترغبين بإنكاحي فتاة تعرفينها يا أماه ؟

ـ الأميرات كثيرات .. فعماتك ست ، وكلهن لديهنّ أميرات صغيرات يصلحن لك .. وأختي لديها بنات .. وعماتك بعضهن تزوجن خارج مملكة جدك .. فلن نعدم أن نجد أميرة عندهنّ.. أو أكثر ليكن نساء لك .. فأنت الباقي من أحفاد الملك الرعاد .. نسيت أن أسئلك عن أخيك محسن .

ـ هو بفضل رب البرية تماثل للعافية .. إنها جروحه كانت كثيرة .. فهو شجاع كان يصارع ليموت .. خشية أن تقع الجواري والأبناء أسرى للعدو الغادر .. والحمد لله أني وفقت بإرسال العيار دعسان عن مشورة الوزير أبي حسن مقداد .. وضحك .

فقالت أمه : الوزير معجب بك للغاية، ويراك شجاعا وحكيما رغم حياتك في الريف والقرى فيراك ذكيا ومقدما وهو محب لك ..

ـ وأنا أراه نعم الوالد ..وإن جلوسي على هذا العرش بعد فضل الله بشجاعته واستمراره بنشر العداء للحاكم شاقر أو شاقور كما يحب أهل مدينتا تسميته .. ونعم القرين لأمي .. وقد أرسلت الدعسان لمطاردة اللصوص .. وقد تحدث القائد نصر بن فوزان ودعسان مع الجرحى منهم .. فهم من مدن وقرى مختلفة تجمعهم الجريمة والعصابات.. وفيهم عدد من مجرمي

مدينة قدم الغزال .. ومعهم قائد كبير ممن هربوا من تلك المدينة اسمه سريان ، وقد علمت أنه شارك في قتل أبي قبل أن يتحول للص .. وطالبت بتسليمه ؛ ولكنه قد هرب قبل معاهدة الصلح بيننا ، وهو من رجال الملك شجاع .. وأكد دعسان الذي سأل العم المجرم عنه أنه قال له " إنه هو الذي رتب لجريمة غدير الدم .. وهو وقائد آخر اسمه سعدانو .. هم جاءوا المدينة وتعرفوا على تحركات الملك مطر .. ورتبوا لحادثة الغدير المشؤومة " .. لذلك أكد لي الوزير الشجاع أن حادثة اعتراض محسن كانت مدبرة ومكيدة.. فكان لابد من متابعتهم للقضاء عليهم.. فهم يعملون الآن وحدهم كما هو الظاهر لنا .. وأرسلت رسالة حادة للملك دغفل بأن يجري تسليمهم فور عودتهم للمدينة.. حتى لا يذهب العهد بيننا وبينهم سدى.. وأرسل الفارس دعسان عيونا له في بلاد شجاع ..

ـ إذن لم يكن الأمر مجرد قطاع طرق

ـ هم قطاع طرق استغلهم سريان وسعدان أو هم يعملون لهم .



كان الملك ضرغام قد استطاع معرفة الكثير من الأسماء المتآمرة على قتل أبيه من رفاق عمه طل أو الوزير بهلوز .. وفتك بأكثرهم إلا من هرب واختفى .. وكان الملك شجاع قد أرسل سريانو وسعدانو بجيش لاغتيال الملك مطر ونجحوا .. لذلك بعد تلك المذبحة عند غدير الدم تقدم الرجل الصفوف، وأصبح رجل الملك المقدم والمكلف باغتيالات خصوم الملك في الداخل والخارج .. واستلم قيادة أمن الملك والبلاد ، ويساعده سعدانو ورجاله المقربون .

ولما رأى أن الهزيمة ستلحق ببلاده ورأسه مطلوب هرب قبل أن يصبح قتيلا للملك الذي أهدر دمه .. وكان هذا الرجل بعد مقتل مطر أحد أصدقاء الملك طل وكثيرا ما زاره ، ولهى

معه وشرب الخمر وزنى في قصر الملك طل .

لذلك لم علم العيار دعسان بوجوده مع اللصوص أدرك أن المكيدة مدبرة ومقصودة، ولم تكن صدفة وعفوية ، وتحرك باحثا عنهم حسب أخبار طل وجرحى اللصوص ، وأن الرجل يسعى للغدر وإفساد الصلح بين المدينتين ليعيش .. فلابد إذن من أسرهم أو قتلهم .

العصابة لم تعترض محسنا فجأة دون تخطيط وكيد كما بدا لنا في البداية .. فالحرب الخفية قائمة سريانو وسعدانو .. يريدان الانتقام لمليكهم قتيل غدير الماء.. والحرب الخفية تذكرون أنها بدأت عند خط الحاكم شاقور رسالة يخبر الملك شجاعا عن الشائعات بظهور ابن للملك مطر المختفي عند مقتله .. وقبل ظهوره علنا أي ضرغام كان من الصعب الوصول إليه .. وجاء سريانو وتحرى وفتش ، وعاد لمليكه خائبا ومطمئنا له من حال مدينة الرعاد .. والأمير ضرغام لم يكن له أصدقاء ورفاق في مدينة الرعاد ؛ فكان من الصعب التعرف عليه والتخلص منه .. واستطاع الشاب الوصول لمبتغاه والقضاء على شجاع وحاشيته أثناء الصيد كما حصل مع أبيه ..

وقد قام والد محسن برعايته وكتم سره حتى وافته المنية ، وقد أرسله ليتعلم السيف وركوب الخيل على أنه ابن راعي ، فصعب معرفة سره لأنه هو عاش لا يعلم إلا أنه ابن راعي .. ونفذ الراعي وصية الأم وتعاليمها على أحسن وجه .. فصعب على سريانو التحقق من حياة ابن الملك العدو المجهول .

اختفى خصوم ضرغام خشية الهلاك ؛ ولكنهم لم يصمتوا ، فهم يريدون إشعال النار والحرب فبقاء الملك ضرغام فهذا يعني هلاكهم وموتهم ولو بعد حين .

وظهر محسن بالصديق المخلص والوفي للملك.. وقد شاركه بالقضاء على شجاع .. فكانت فرصة لقتله عند عودته من قريته التي بدا اسمها يظهر.. وأن الملك عاش فيها كابن راعي .. فأرسل سريانو بعض أعوانه للتجسس في بلاد الرعاد .. يذهبون كتجار كرعاة .. وعرفوا بخروج محسن إلى جهة ما .. وهو رجل ظهر اسمه أثناء فترة التحرر من الاستعباد .. وهو

سيف الملك وقائد الحرس .. هم طبعا لم يعرفوا إلا أنه ذاهب في مهمة ملكية .. وتبعته العيون حتى رجع بعد حين.. فرتب سريانو وبعض رجاله الكمين الذي أرادوا أن يبدو بين الناس وللملك ضرغام والملك دغفل أنه كمين قطاع طرق ولصوص.. فاستعان بعصابة لصوص له معرفة بزعيمها .. وإذا اكتشف الجريمة .. عصابة تسعى لأموال ودواب القوم .. فلا تتهم مدينة دغفل بالحادثة ويقتل الرهائن.. ولم تجر الأمور كما خطط سريانو وسعدانو.. ظهر العيارون في الميدان في الوقت المناسب، وقاوم محسن وفرسانه ببسالة وشجاعة ..

هرب زعيم اللصوص وسريانو ومن نجا .. وعلموا أن الملك ضرغاما أرسل الدعسان لتعقبهم ومطاردتهم وقتلهم والقضاء عليهم .. والدعسان لم يكن مجهولا لدى العصابات، فهو اسم يتردد في الوديان والجبال ، ومغامراته في مطاردة اللصوص يتناقلها الركبان منذ عهد الملك الرعاد .. الذي كلفه بمحاربة لصوص القوافل وتأمين الطرق لها .. لتصل لبلاده سالمة وقد كان هو نفسه في مطلع حياته لصا كبيرا قبل القبض عليه في زمن الملك الرعاد ، وتاب على يديه، وقد عفى عنه وكلفه بهذه المهام .. فاتصل بأعوانه ودعاهم للتوبة والخدمة مع الملك الرعاد.. وكان صديقا للملك مطر.. فلما قتل ابتعد وعاد لبلدته حتى سمع بعودة ابن الملك ضرغام فلحق بجيشه وفرسانه وعرف بنفسه وعرفه مقداد وتذكره .. وأحبه الملك ضرغام ، واتخذه صديقا له ولمحسن .. وطلب منه العودة لوظيفته كعيار وحماية الطرق من اللصوص، وقد منحه الملك لقب حارس الملك .. وصار اليد الخفية للملك .



الحرب الخفية

بعد شهور قاربت السنة تعافى محسن من جروحه كلها ، وأصبح قادرا على اعتلاء الجواد واللعب بالسيف والطعن بالسنان، وبينما هو سعيد بعافيته جاءته رسالة عن أمه فيها خبر بزواجها من العبد سهام الذي وهبه لها الملك ضرغام على لسان محسن نفسه ، عندما مشى محسن قبل سنة لجلب الجواري والنساء أمهات الأولاد

فتضايق وتألم محسن لسماع هذا الخبر ، وقال متضايقا للرسول " ألم تجد سوى العبد ؟! .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. وولدت منه يا الهي ! لابد من زيارة أخرى للبلدة ومعرفة تفاصيل حكايتها مع العبد "

ودخل على الملك وساره بهذا النكاح، فاستغرب الملك مثله ، فالعبد له بينهم سنوات ، وقال مستغربا " ألم تجد رجلا حرا تنكحه ؟!.. لابد أن أمرا مرا اجبرها على ذلك "

ـ مهما يكن هذا الأمر ، فنحن هذه الأيام سادة وأمراء ولسنا سوقة.. وهي لم تكن بحاجة للنكاح .. أمي نسيت أنها أم أخرى للملك ضرغام .. سأسير للبلد خفية أيها الملك .. أنا لم أنس الحرب الخفية بيننا وبين أتباع الملك شجاع الموتورين.. وإذا تحركت بسرية أو أكثر سأكون مكشوفا .. سأتنكر أيها الملك الكريم وعليك أن تزعم أمام الأمراء والحاشية بمرضي أرجو أن لا تكون أمي انزلقت للغواية مع ذلك العبد .

قال الملك : لا أعتقد أن تهوي أمنا لهذه الفاحشة .. الوحدة لها دورها أيها الأمير .. عليك بالتروي .. إنها تعيش مع الخادم .. فقد تركناها وحدها وقد مات والدها بعد أيام من رحليك بأمهات الولد.. واذكر أن أمك صغيرة في السن .. وحياتك في هذه الرحلة ألا تخشى عليها فالعدو يتربص بنا ؟

ـ القلب يشتعل أيها الملك لهبا.. عليّ أن أسمع أمي وأعرف لماذا هذا الزواج ؟! فكأنها تزوجت بعد مفارقتي إياها، فهي قد وضعت طفلا

ـ محسن احذر أن تمسها بسوء .. فهي أمي كما هي أمك .. لا تعجل بالغضب .. عليك

مشاورتي .. حتى لو أخطأت، وأنا أربا بها أن تفعل ذلك السوء.. لا تمسها بسوء .. هي أمي كما هي أمك .. والعبد سهام لا تمسه بسوء أيها الأمير هو اليوم زوجها وقرينها، ولابد أنها حررته قبل زواجها منه .. فقد خدمنا بإخلاص في وجار أبي شجاع .. هناك شأن خفي وهو أبو أخينا .. انظر في أسباب هذا النكاح ، وتصرف بالحكمة التي أعهدها فيك لا تنسى وصاياي يا أخي الأمير .. كن محسنا كاسمك

ـ العار هل يغسل بغير الدم ؟

ـ أي عار ؟!

ـ الزنا

ـ لا أعتقد حدوثه ..أمي شريفة نقية .. والولد أخ لنا شئنا أم أبينا .

صحب محسن أحد رجال الدعسان الأشداء والذي يسبق الجواد ، واسمه عامر وهو من أبرع العيارين الذين يعملون مع الدعسان.. ولم يحمل محسن معه شيئا حتى لا يثير شهية الأعداء واللصوص وجواسيس سريانو العاملين في بلادهم دون شك .

خرج من المدينة نصف النهار مع الناس وبأثواب بالية والتقى بصاحبه العيار عامر في أحد الوديان، وكان معه جوادان قويان وسيف الأمير .. وبعد أيام وصل القرية بسلام حتى أن أمه تفاجأت به ، ولم ينزل بيتها، ونزل في بيت شقيقته سيرة ، فعلمت الأم أنه غاضب وأن أحدهم وشى له بزواجها من العبد سهام ، ولما مشت للسلام عليه وتعرف سبب مجيئه قالت : الحمد لله على السلامة أيها الأمير .. سمعنا أنك تعرضت للصوص وأصبت بجراح شفاك الله منها .

ظل نظره إلى الأرض وقال بغضب وحدة: ما دمت راغبة بالرجال لماذا لم تحدثيني بذلك ؟ .. أتنكحين العبد يا أم الملك ؟

فقالت بغضب واضح وضيق : يبدو أن الأمير محسنا نسي أن أباه راعي وأجير عند الناس .

ـ لم أنس يا أماه ذلك الراعي؛ ولكننا أصبحنا أمراء وسادة.. أترضين أن يقال إن أم الملك ضرغام نكحت عبدها ؟

ـ لقد حررته يا ولدي قبل النكاح .. لم يبق رجال في البيت ، خشيت من القيل والقال.. والرجل شريف ، ولم يطلبني أحد للزواج منذ ترملت .. فعرضت نفسي عليه ، وبعد تردد وخشية قبلني.. وهو رجل حر مثلك ومثل أبيك من قبل .. وأنجبت لك منه أخا .. هل كنت تريد أن آتي إليك قائلا يا محسن أريد زوجا ؟!.. هذا كان واجبك أنت دون أن أقول .. مات أبي الذي كان يؤنس وحدتي وحياتي .

قال بعد تردد قصير : أمي ألم يحدث بينكم أمر مشين قبل الزواج ؟

ـ رغم قسوة الكلام والاتهام .. أقسم بربنا أنه لم يحدث بيننا شيء مريب .. لكن لما خلا عليّ البيت من الأطفال والنساء ، وجدت نفسي مع هذا الرجل .. وحنت نفسي للأطفال .. عليك ألا تسيء الظن بنا ، ولا إلى زوج أمك .

ـ أوصاني الملك على حياتك وحياة العبد والطفل

ـ ما هو بعبد .. هو حر .. والحمد لله لم يذهب لبني فيه خسارة

ـ نحن لم نعد أبناء الراعي جدي.. فلو كان حيا لصار سيدا وأميرا .. أتريدين مني أن أبعد عن الملك والحكم والسلطان وأعود راعيا ؟!



لم يدم مقام الأمير محسن في قريته طويلا ، فعاد ودخل على الملك وقص عليه قصة زواج أمه من العبد فقال الملك : الحمد لله أن الظنون الرديئة ذهبت .. نحن قصرنا في حق أمنا يا محسن .. نسينا في غمرة الأحداث الأم الأرملة منذ عشر سنوات.. رحم الله العم جديا .. لِما لم تحضرها معك ؟

ـ أبت يا مولاي الملك .. أصرت على البقاء في قريتها لتدفن فيها ..لا تحب حياة المدينة ورفاهيتها .

ـ وذلك العبد ؟

ـ تركته سقيما عليلا قد هده المرض .. عجز عن المجيء لبيت شقيقتي للسلام عليّ .. وعند مغادرتي مررت على أمي لوداعها فرأيته بتلك الهيئة الضعيفة على فراش السقم .. وقلت لأمي " قد لا أعود لهذه البلدة مرة أخرى.. فارحلوا معي "

ـ وما أجابت أمنا على قسوة كلامك ؟

ـ لزمت الصمت .. وخرجت وأنا فعلا أحس أن هذا آخر العهد بهذه القرية أيها الملك الشجاع .

قال الملك بتمنٍ : كنت أود أن تأتي لتعيش معنا هي وبعلها وولدها .. لا يمكن نسيان معروفها نحوي يا محسن .. كانت أما عظيمة بالنسبة لي، عشت معها أكثر من أمي التي ولدتني.. كنت ضعيفا عندما اعتنت بي ، فإكرامها واجب علينا

ـ أبت الرحيل ، تريد أن تموت في بيت وقرية عاشت فيهما.

ـ دع ذلك للزمن لعلها تغير رأيها .. لابد لي من زيارة القرية ، وتقديم الشكر لأهل القرية .. أيام لا تنسى أيها الشجاع في تلك القرية الوادعة

ـ هذا من كرم السيد أيها الملك السعيد

ـ والأخت النفيسة سيرة ألا ترغب برؤية أخيها الملك ؟

ـ زوجها عاجز عن السفر، فهو يبر والدين شيخين أيها الملك الشجاع

ـ حق لهما البقاء ما دام الشاب بارا بوالديه راعيا لهما .. إني بشوق لرؤيتها والحديث معها .. فمنذ خرجنا نطالب بحقنا لم نرهم ولم نمزح معها .. لو لم تزوج لزوجتها أميرا من أمراء مدينتنا لتستقر معنا .. لعلها هي الأخرى تشتاق لنا مع الأيام .

غمر المكان صمت لدقائق ؛ كأن الملك ذهب بخياله لتلك القرية الصغيرة الهادئة ثم قال : عيارنا الدعسان يبدو أنه اقترب من اللص الغادر .

انتبه محسن من سرحانه هو الآخر وقال : حقا !.. كم أنا متعطش لذاك الخائن وصلبه على

باب المدينة؟!.. لم يرحم ضعفنا ؛ لكن طال البحث عنه

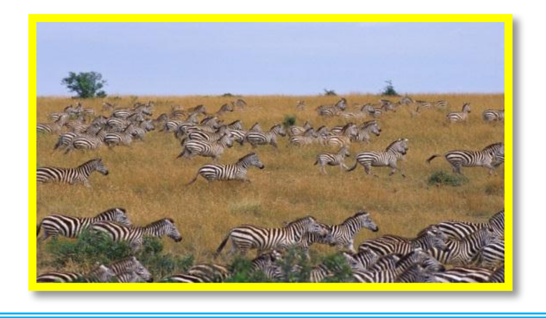
ـ هؤلاء الملاعين لا مكان واحد يثبتون فيه .. فهم يتحركون لممارسة بغيهم .. العجيب من أمرنا أننا مع كثرة تنقلنا بين المدن والقرى لم نصدف لصا أو عصابة

ضحك محسن وقال : كان حظنا حسنا يا مولاي .. حتى قريتنا لم تعان منهم كما تذكر رغم سماعنا عن اعتداءات لهم على القرى من حولنا .. فهم يهجمون على القرى أحيانا لنيل الطعام والاستيلاء على المواشي وبيعها في المدن .. ويأخذون الأعلاف لخيولهم .. فأهل القرى مسالمون يدفعون للصوص مقابل ترك حياتهم وبعض طعامهم لهم .

ـ ولماذا يسرق هؤلاء الناس ؟! هل هم جوعى ؟

ـ لا أعتقد هذا أيها الملك .. هؤلاء في الغالب استهوتهم المغامرة والكسل عن العمل .. وبعضهم لص ومجرم في بلدته، وابتعد عن شرطة بلدته .. وبعضهم ارتكب جرما قاتلا فهرب وانضوى تحت تلك العصابات طمعا بالحياة والعيش بسلام مع تلك العصابات

ـ عندما يعود الدعسان سنرى ما سنفعل بهؤلاء الملاعين؟ .. فقد أخبرني الوزير كما أخبره قائد الشرطة أن لصوصا اعتدوا على بعض الفلاحين خارج أسوار المدينة .



أميرة تتان

وبينما الملك يشكو لصوص الليل لأمير الحرس أخبره الحاجب بأن رسولا يحمل رسالة خاصة فاستقبل الملك الرسول في ديوان الحكم ، وأمر الكاتب بفض الرسالة ويقرأها فقال الرسول :

إنها رسالة خاصة لكم مولاي الملك من أميرة تتان الأميرة نهيلة بنت الملك حس غاب

أخذ الملك الرسالة من يد الكاتب وقرأ فيها بعد التحية والسلام

" علمت يا ملك الزمان من بعض الشعار أنك ذكرتني ورغبت بالزواج مني ، ولولا مقامك بين الأنام لسعيت لمبارزتي لتحضى بي قرينة لكم ، فسرني وأسعدني ما سمعت يا ملك الزمان، وفرحت به ، وأنا مثلك تمنيت هذا اللقاء.. فأقبل إلى الميدان ؛ لترى حسن وشجاعة الأميرة نهيلة بنت حسن غاب سيد بلاد تتان والسلام "

دفع الرسالة لوزيره زويد المقداد وقال للرسول : أنت رسول الأميرة فحسب أم خادم خاص لها ؟

ـ نعم ، يا مولاي أنا خادم لها كلفت بنقل الرسالة ، فهي تهديك السلام وتطلب اللقاء في ساحة الميدان ، وترحب بك ضيفا على بلاد تتان .

انتهى الوزير من قراءة رسالة الأميرة وأعطاها بإشارة من الملك للأمير محسن قائد حماية الملك ثم أمر بصرف الرسول لبيت الضيافة ..ولما انتهى منها محسن أخذها الكاتب وقال: عندما اعترض الرسول خشيت أن تكون رسالة مسمومة ، فبعضهم يغرق الورق بسم قاتل ويجففه لحين فينتقل السم لقارئ الرسالة شيئا فشيئا عن طريق الامتصاص والتعرق

ـ أشكرك أيها الكاتب الشجاع.. نظرت في عيني الرسول ، ثم ذكرت أنه لا عداوة بيننا وبين تتان

وتنهد الملك وقال : أيها السادة إنني وأنا أحارب كما تعلمون عند أسوار قدم الغزال دخل علينا ذات ليلة شعراء كرام يمدحوننا ، فوصف أحدهم أميرة تتان وشجاعتها، وطمع الملك شجاع بها وسار إليها وهزمته، واستسلم للهزيمة ، فطمعت نفسي بها والفوز عليها.. وأنا

محارب ؛ ولكني لست بالفارس ذي الشهرة الكبيرة ، إنما أحسن القتال والدفاع عن النفس ولست جبانا.. وهل تستحق امرأة أن أقاتل من أجل نكاحها حتى ولو كانت ملكة؟! فأمي الملكة قالت لي كلمة عظيمة "النساء كلهن واحد في أمور النكاح والجماع" .. ولا أنكر أن حسنها كما قال الشاعر يفتن الألباب والحجا.. وإنها مضرب الجمال في تلك الديار

قال الوزير مقداد مبهورا : كلامك كلام ملك عاقل!.. ملك عظيم! .. النساء شهوة يا مولاي والنساء كثير .

ـ إنها تتحدى أيها الوزير العاقل

فعاد الوزير يقول : إنها أنثى، ولا فخر بالفوز على أنثى .. اطلبها للزواج وعندما تستقر بيننا ادعها للمبارزة .. فلا نريد أن نخسرك أيها السلطان وتتعرض لغدر من الأعداء الماكرين المتربصين

ـ هذا ما أفكر فيه حقا .. نحن ما زلنا في حال قتال مع مدينة الملك شجاع .. وكما استيقظ فرساننا ورجالنا فلسوف يستيقظ رجالهم وشبانهم بعد أن تذهب سكرة الضعف والذل .. وتعود الحرب .. فرغم أخذنا مائة رهينة لضمان الوفاء بالعهد والاتفاق.. فها هم حاولوا النيل من القائد محسن غدرا وبالتعاون مع اللصوص ، وبعضهم كان من رجال شجاع .. وفارسنا الدعسان يتعقب جحورهم دون فائدة تذكر .. سنبعث رسالة لتلك الأميرة أعرض نفسي زوجا بدون مبارزة كما قال وزيرنا الشجاع .. إن قبلت مشى إليهم وفد لطلب يدها من أبيها وسادة مدينة تتان وإلا انتهى الأمر .

وكتب الكاتب رسالة بهذا المعنى وبعد انتهاء الأيام الثلاثة دعي الرسول وأعطي الخطاب، وسار به لبلاده ، ولما قرأت الأميرة الرسالة صعقت بما فيها ، وظهر غضبها وسخطها، فلما قرأها الملك حس غاب أخذ بالضحك عاليا ثم قال شامتا : هذا ملك حكيم يا بنية!.. النساء بين يديه كثيرات، فلماذا يجازف بنفسه للمجيء هنا للمبارزة ؟ مبارزة الأميرة التي لم تلد النساء مثلها غرورا ووهما .. فإذا كان لك فيه هوى ، فها هو يطلب الاقتران ببدنك وروحك

فاقبلي عرضه .

ـ بعد أن هزمت عددا من الأمراء والفرسان أأقبل الزواج بدون أن أهزم ؟.. هذا لا يكون أبدا

ـ دعك من الغرور فقد كبرت سنك.. النساء اللواتي في عمرك قد ولدن الكثير من الأبناء .

ـ لا يا أبي لن أتزوج إلا من يتغلب عليّ في ساحة الميدان ويهزمني

ـ الغرور قاتل ويورد المهالك.. وقد صبرت عليك كثيرا ، وهذا ثاني ملك يطلبك حليلة.. جاءك شجاع طالبا الزواج ، وأصررت على المبارزة وهزمتيه وقبل الهزيمة لما بيننا من الدم والقرابة .



بعد حين يسير عاد رسول الأميرة يحمل كتابا جديدا للملك ضرغام تعير فيه الأميرة الملك بأنه ضعيف ، ويهرب من لقاء امرأة بارعة في السيف والقتال ولولا ضعفه لما فر من لقاء امرأة .

فقهقه الملك عاليا ، وقال الملك الذي كان قد أخرج الرسول قبل فتح الرسالة : هذه الأميرة تكاد تقول تزوجني .. وغرورها وكبرياؤها يمنعانها من قبول طلبنا والاستجابة لرغبتنا باتخاذها حليلة.. اكتب أيها الكاتب ردا مستفزا ، وخذ مني هذه العبارات " لو كان الفوز على امرأة في معركة مفخرة لكثرت الفارسات في التاريخ .. فالحرب خلقت للرجال.. وأكثر من يموت في المعارك هم الرجال .. ونساء الخاسرين تصير سبايا وخادمات للفرسان المنتصرين.. فليكن زواجنا على سنة الرحمن "

فلما قرأت الأميرة نهيلة تلك العبارات أصابها الجنون وكادت تفتك برسولها، ووعت أن استفزازها للملك ضرغام غير مجد .. وأن الرجل لا يُكنّ لها هوى إنما يشتهيها كما يشتهي الرجل جاريته وزوجته.. ولم علم الملك حسن غاب برسالته الجديدة ازداد إعجابا بهذا الملك الشاب ، فقال مرة جديدة : أراك تراسلين هذا الملك الشاب فإن كان لك هوى به لشجاعته

وحكمته ؛ فلنسع في ذلك على سنة الرحمن كما كتب لك .. فهو ليس أحمق كالذين بارزوك.. وليس مفخرة للفارس الشجاع أن ينتصر على أنثى .. وها هم الذين فزت عليهم تزوجوا النساء ونسيهم الناس .. إنه ملك وأنت ابنة ملك فهذا هو الشرف .. هذا هو الشرف .. الناس لا تهتم لهزيمة رجل من قبل امرأة .. يشهد لك الفرسان بالقوة والشجاعة .. وماذا بعد؟! وكما أخبر خادمك الملك الضرغام لم يتزوج من الحرائر بعد .. فأنت أول حرة وأميرة يعرض عليها النكاح .. وقد تتوجين ملكة إذا ولدت له ذكرا كما هي عادة الملوك الكبار.. والرجل راغب بك زوجة وعرض نفسه زوجا لك

ـ آه! يا أبي كيف سأنظر إليه وأنا أراه رجلا عاديا؟!.. أنا أريد رجلا مميزا أفخر به على نساء العالمين أنه هزمني في الحرب .

ـ الملك ضرغام من أبطال هذه الأيام، وقد استرد ملكا ضاع منذ عشرين سنة وانتقم لأبيه من الملك شجاع .. فهو بطل وشجاع .. وأمه بطلة كذلك قد سمعت قصتهم من الرواة .. استطاعت حفظه وظهر كبطل من أبطال الأساطير.. فهذه هي البطولة الحقيقية .. فكل فارس يهزم ببعض المعارك لا ينتصر دائما، ولا يقلل ذلك من فروسيته .. كل فارس يكبر سنا مع الأيام ويضعف .. ومن حظك أن الرجل له رغبة فيك .. فهو لم يعش في القصور عاش في الوديان والجبال والقرى.. إنه صنع لنفسه مجدا بنفسه.. راجعي أفكارك فقد قل خطابك.. والرجال تنفر من المرأة المترجلة .. ماذا يعني فارسة ؟! المرأة حياتها أن تبقى امرأة حسناء متبعلة لزوجها .. قولي لي ما يعيب أمك الملكة .. وعمرها ما ركبت جوادا لقتال ؟!

جاءت البشرى من الدعسان بأسر زعيم العصابة وأنه في الطريق للمدينة ، فغمر الفرح قلب الملك وقال للوزير مقداد : سنة ونصف وهو يطارده .. دعسان فارس مغوار وصبور.

وصل الدعسان ورجاله بعد أيام يسوقون زعيم العصابة وثلاثة من أعوانه مكبلين بالقيود والحبال على متن الجياد.. فخرج الناس للفرجة على عصابة اللصوص ، وأمر الدعسان بصلبهم في ساحة المدينة؛ ليكونوا عبرة وذكرى لمن يحاول الاعتداء على أهل المدينة .

ذهب محسن بنفسه لرؤيتهم والحديث معهم ، وخاطب زعيمهم بشماتة وكره، فقد كاد يفقد حياته على أيديهم قبل زمن يسير "أعرفتني أيها اللعين ؟"

فقال الزعيم " وهل أنساك ؟ وما أنا هنا إلا بسببك ؟!"

ـ أنت جنيت على نفسك تعرضت لنساء الملك ضرغام، وعملت كأنك لم تسمع .. فالاعتداء على الملوك ليس كالاعتداء على العامة .. الملوك لا يتنازلون عن غضبهم وإلا زالت هيبتهم من قلوب السوقة أيها اللص .. وذكرت لك أني قائد حرسه ولم تبال.. فكم دفع لك الأمير سريانو ؟!.

ـ أي سريانو ؟!

ضحك محسن وقال : أنت تمكر بي ! أتنكر أنك كنت مدفوعا ؟ فرجالك الجرحى يعرفون سريانو وسعدانو

ـ أنا اعمل لنفسي .. قافلة وقعت في طريق عصابتي ..

ـ عندما تقف أمام الجلاد ستقر بمن أرسلك أيها اللعين .

وغادره والتقى بالدعسان ، وسمع منه قصة مطاردته للعصابة ، والقبض عليه فقال : ظللنا يا مولاي الأمير نتتبع الأخبار حتى تمكنا منهم في النهاية ؛ وذلك في معركة قصيرة .. فقتلنا منهم عددا وهرب بعضهم وأسرنا الهدف .. وأخذنا بالتنقل خفية ومن طرق غير مطروقة حتى وصلنا إلى هنا

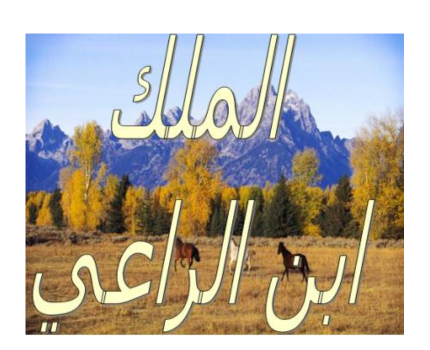
ـ أحسنتم ، وبارك الله في شجاعتكم .. ولكنه ينكر علاقته بسريانو وسعدانو

ـ كذاب يا مولاي الأمير ، فهو يعرف شدة العداء بيننا وبين سريانو فيريد التنصل من معرفته آملا بالنجاة .. أخبرني أحد رجاله أن أميرا دفع له مبلغا كبيرا من المال ليقوم باعتراض قافلتكم والنيل منها وخاصة أنت .. والتظاهر بأنهم لصوص التقوا بكم صدفة دون متابعة ورصد حتى لا تتهم مدينة قدم الغزال بالجريمة .. ولسوف يقر أمام القاضي بجريمته وسيلقى جزاءه

بعد الصلب والعرض أمام الناس لمدة ثلاثة أيام اقتيدوا للسجن ليعرضوا على القاضي بجريمة قطع الطريق ومهاجمة رجال الملك ونسائه ، حقق معهم أحد رجال القاضي ، وأصر الزعيم على الإنكار على أي تعاون مع أمراء الملك شجاع فأمر السيد القاضي بحبسهم حتى يقبض على سريانو وسعدانو .. وأن يبقوا بالقيد الثقيل داخل الحبس حتى لا يفكروا بالهرب.. فقال الملك لمحسن :أيعقل أنهم ليسوا من أعوان سريانو اللعين ؟

فقال محسن : الأعوان سمعوا باسم سريان وأولئك لم يروه .. وزعموا أن معهم رجالا من مدينة الملك شجاع ..

فقال الملك : السجن خير لهم حتى نرى سريانو بينهم .



مكر سريانو

جاءت رسالة ثالثة من الأميرة نهيلة بن حسن غاب وقد جاء فيها " ... نعم ، أعترف أنك هزمتني أيها الملك ، وكنت بشوق للقائك في الميدان .. وفكرت أن آتي مدينتك لهزيمتك بين أعوانك؛ ولكن والدي الملك رفض هذه الخاطرة وقال: " إذا كنت تريدينه بعلا لك فأرسلي رسولك إليه معلنة الموافقة لهذه المصاهرة ".. فإذا كنت تراني مناسبة للزواج منك أيها الملك المبجل.. فأرسل واصنع ما يفعله السادة في الزواج من بنات الملوك.. فأنا معجبة بك منذ سمعت بمعاركك مع الملك شجاع .. أحببتك حق الحب .. وكنت أطمع أن أكون عندك جارية .. ولكن شرطي كان يحجزني أيها الملك المبجل ..إني في انتظار ردك الكريم .. العاشقة للبطل ضرغام بن الشهيد مطر نهيلة بنت حسن غاب "

سر الملك وهو يقرأ رسالة الأميرة التي أعجب بجمالها وحسنها من وصف شاعر أحسن الوصف أمامه ، وها هي قد استسلمت للزواج دون قيد أو شرط .. وسر لتعلقها به ، وهو أدرك ذلك من أول خطاب نقل إليه .. فهام الملك بها هياما ، فهو قد عشقها منذ وصفها له أحد الشعراء أثناء الحرب التي قادها إلى بلاد قدم الغزال .. عشقها على السماع .

تشاور وتحاور الملك مع وزيره وأخيه محسن بهذا الزواج .. وكان الكل يحب أن ينكح الملك أميرة سواء من أميرات البلاد أم من أميرات وبنات الملوك .. لأنهم كانوا يرون من كمال الرجولة الزواج من الأميرات وترك السراري .. وكان لفارسهم هوى بتلك المرأة على السماع والوصف .. فتقرر أن يرسلوا وفدا بقيادة الشيخ حمزة بن ناهد كبير قضاة المدينة لتحقيق هذا المأرب.

وقد دبج الكاتب خطاب السفارة الملكية ، ولما جهز الوفد المكون من خمسين رجلا مضوا لبلاد حسن غاب ، وقد حملوا الهدايا على البعران والبغال ، وصحبهم مائة فارس على أن يتبعهم عشرون عيارا سرا .. وكان الرسول قد أبلغ الملك حسن غاب بأخبار الوفد الملكي ، فطفقوا يستعدون لاستقبال وفد بلاد الرعاد ، تقع بلاد تتان جهة قدم الغزال ، وكلا المدينتين غرب

مدينة الرعاد ، الشيخ حمزة القاضي كان قد زاد سنه عن الستين عاما وهو قوي البنية .. ولما غادر الوفد المدينة أخذ أهل البلاد بالاستعداد والتهيؤ للاحتفال بزواج الملك من ابنة الملك حسن غاب .

خرج الملك حسن غاب بنفسه في استقبال الوفد على مدخل المدينة، وبعد التعارف والعناق ساقهم إلى بيت الأضياف ، ثم أعلن الملك نكاح الأميرة نهيلة من الملك البطل ضرغام بن مطر وشرعت المدينة تحتفل بزواج ابنة مليكها.. فأقيمت الحفلات العامة والخاصة في شرق المدينة وغربها ، وتخللتها الولائم على نفقة الملكين .

ولما تجهزت قافلة الأميرة تحركت القافلة لبلاد الملك ضرغام تصحبهم العروس وبعض جواريها وخدمها ، وكانت الأميرة داخل هودج ، ومعها جارية صغيرة في السن .

ولما اقتربت القافلة من طرف مدينة قدم الغزال للتحول جهة مدينة الرعاد أحاط بها أعداد من الفرسان ، وعملوا غارة سريعة على القافلة ، ونشبت معركة دامية بين الفرسان وحماة القافلة.. واستمر القتال حتى اقترب فرسان من هودج الأميرة وساقوها إلى مكان مجهول.. وكان القاضي قد قتل أثناء المعركة مع عدد من فرسان الملك ضرغام .. ولما وصل الخبر المفزع للملك حسن غاب اشتد غضبه وفزعه، وأرسل جيشا يبحثون عن الأميرة المخطوفة ، وإسعاف الجرحى ونقلهم للمدينة للمداواة .

وغضب الملك ضرغام للغدر والخيانة واستدعى الدعسان ، فأخبره الدعسان بالكمين الغادر ورأى أنه من سعي وتدبير سريان وسعدان وقال : لن يهدأ لي بال حتى أضعهما أمامك أيها الملك الشجاع .. لقد سعى أحد رجالي لحماية هودج الأميرة ولكنه قتل .. وقد خسرت فرقتي أيها الملك الشجاع ثلاثة من فرسانها ..

ترحم الملك عليهم ، وأوصى بأسرهم وقال : اهتم بالأمر بكل قوة.. سنشيع مولانا القاضي والقتلى بمشهد جليل ومهيب .. انصرف واعمل سريعا يا أمير دعسان ..

ـ الحرب سجال ، سننال منهم بمشيئة الرب العظيم .. سأخرج لهم بنفسي .

وشيع أهل المدينة قتلاهم، كما قال الملك بمشهد عظيم، حضره كبار السادة والأمراء وأبناء الشهداء، والكل يتوعد ويهدد بالنيل من الغادرين الخائنين .. وجاء خبر بعد حين أن الأميرة المخطوفة تنزل في وادي السبع .



أرسل الملك بعض العيارين لوادي السبع يتحرون الخطب ، ورجع بعضهم يخبر الملك أن الأميرة مكثت فيه فترة ثم اختفت .. واستمر الحال في ضباب وتعمية حتى تلقى الملك رسالة من الأميرة المخطوفة تتهمه بالجبن والتخلي عنها، وأنها قضت أسابيع بين قطاع السبل، ولم يحرك ساكنا ، وتسأله الطلاق، وأنها الآن مستقرة في موطنها تتان .

ولما شاور الملك الحاشية والقضاة أعطى الرسول رسالة يعلمها فيها بطلاقها ، ولا حاجة له بأميرة جلبت مأساة لقومه ، وأن كل الأموال التي أكرمها بها هدية منه لها ولقومها، وذكر لها أن رجاله دخلوا وادي السبع بحثا عنها ؛ ولكنهم وصلوا بعد اختفائها .

ولما تلقت الرسالة أخذتها موجة من النحيب والبكاء الحاد ، فقالت لوالدها الملك : كنت أظن أنه عاشق ولهان .. كنت أظن أنه سيحرك جيش بلاده لتحريري وإنقاذي من اللصوص والعصابات .. كنت أظن أنه سيهرع إليّ مسرعا رافضا الطلاق .

قال أبوها: نحن سعينا في البحث عنك.. ولم نعرف أين ساقك الرجال ؟.. ويبدو أن رجاله أذكى من رجالنا فقد وصلوا لوادي السبع ثم توقفوا.. وإلى أين يتحرك القوم ؟ لقد عجلت بطلب الطلاق .. فهم خسروا القاضي حمزة الشيخ الشجاع في هذه المعمعة .. لليوم لم تشرحي لي كيف حررت من الأسر ؟!

ـ أنقذني قريب لأمي .

قال دهشة واستغرابا: قريب لأمك كيف ؟!

ـ وأنا في الأسر .. التقى رجال العصابة بالأمير سريانو رجل الملك شجاع قريب أمي .. ولما علم من أنا أمرهم بالعفو عني ، وأنه سيدفع لهم فدية .. وهكذا تحررت يا أبي .

فكر الملك قليلا وقال: سريان رجل القتيل شجاع .. هل تعلمين أن الملك ضرغاما يطلب حياته لمشاركته في قتل والده الملك مطر ؟! كيف اجتمع بهذه العصبة المجرمة ؟! أم أنه أحدهم وهو وراء هذا الكمين الغادر؟

ـ لست أعلم .. المهم أنني نجوت منهم بفضله .. ولم علم بأنني سائرة للزواج من الملك ضرغام قاتل زوج خالتي .. إحدى نساء الملك شجاع كما تعلم غضب غضبا شديدا وقال" يقتلوننا ويتزوجون بناتنا" وقال الحقي بأهلك، واطلبي الطلاق فهذا الرجل سيقتل قريبا .. يقال طلقت ولا يقال ترملت .. ووعدني بالزواج من أحد أبناء الملك شجاع .

قال الملك بسخط وحقد: هذا السريانو إبليس الرجيم .. سيظهر أنه وراء هذا الكمين الخبيث يا ابنة الملك حسن غاب.. أسرك ولعب تلك اللعبة الشيطانية ، ربما اعتقدوا أن الملك أحد أفراد القافلة متخفيا.. وأحس أن هناك تواطأ من حرسك .. فهم الذين ابعدوا فرسان الملك ضرغام عن هودجك بحجة أنهم أولى بالحماية منهم.. مكر .. خبث.. لعبة تتفكك .. لقد حدثني أحد الفرسان أن الخطف مريب .. أخشى أن تكون لك يد في الحيلة والمهزلة .

ـ خطفي مهزلة يا أبي !

ـ سمعنا كثيرا عن اللصوص وقطاع الطرق ، ما سمعنا أنهم أسروا عروسا تساق لزوجها .. قد يطمعون بالذهب والمال ولا يخطفونها .. ويتركون الموكب سائرا

ـ هذا كلام خطير !

ـ خطير لظهور سريان الشيطان في الأمر.. هذا الرجل أبغض الناس إلى قلبي .. ما حل في مكان إلا ساده الشر والموت .. شيطان رجيم .

أتت رسالة من الدعسان عيار الملك ضرغام يعلمه أن سريان وسعدان ينزلان المدينة قدم

الغزال بسرية وخفية .



فكتب كاتب الملك رسالة خطيرة للملك دغفل يتهدده بالحرب وغزو البلاد إذا لم يسعى لأسرهما وتسليمهما للملك ضرغام ؛ ليقتلهما لمشاركتهم في دم الملك مطر .. وفيها أنه سائر إليهم بجيش لاحتلال المدينة لنقضهم العهد وإيواء المجرمين .

وأمر الملك باستعداد الجيش لحملة عسكرية لمدينة دغفل .

وانتشر الخبر وشاع بأن حربا جديدة ستنشب ، وخرج الجيش من المدينة إلى خارجها للانطلاق جهة تلك البلاد .

ولم يطل الانتظار فقد أقبل وفد من قبل الملك دغفل يؤكدون وفاءهم للعهد ، وأن الرجل المطلوب يدخل خفية دون علمهم ومنتحلا لشخص آخر، ويخرج كذلك وأنهم يسعون بكل جد للقبض عليه وعلى أنصاره.. وأمر القبض عليهم ليس سهلا لسعة المدينة ، وكثرة الداخلين من المدن والقرى المجاورة إليها.

فتشاور الملك بعد سماع تلك الأعذار مع قادة المدينة ، فطلبوا تسليم أسرتي سريانو وسعدانو كرهائن عندهم حتى يقبض عليهما فيسمح لهم بالعودة.. فرضخ الوفد لهذا الطلب .. وبعد وصول زوجات وأبناء سريان وسعدان الذين تمكنوا منهم لأن أبناءه الكبار مثل والديهم هاربين ..

عاد الجيش الملكي إلى معسكراته يتابع تدريبه.. وعاد السكون للمدينة بعد تلك الزوبعة .. واستقرت طائفة من العيارين في مدينة دغفل لمراقبة الأمر.

ولما هدأت العاصفة أيضا في بلاد دغفل .. أشهر زواج الملك دغفل من الأميرة نهيلة طليقة

الملك ضرغام ، وزفت إليه بحفل بهيج .

وهذا أثار دهشة الدعسان ورجاله وحتى أن الملك ضرغاما تضايق لهذا الحدث ومن هذه الفعلة ، واستغرب هذا النكاح والمصلحة منه لبلاد قدم الغزال.. فهو يعلم أن كل أنثى خلقت لتكون زوجة لرجل ولتلد البنين والبنات.

ثم كانت المفاجأة عندما علم بصلة القرابة بين الأميرة والملك دغفل .. فهي ابنة خالته.. فالملك شجاع كانت إحدى نسائه خالة للأميرة نهيلة ؛ ولكنها ماتت في سن مبكرة بعد ولادتها لعدد من الأبناء والبنات.. لذلك لما ماتت سعى للاقتران بنهيلة ابنة الملك.. وها هو ابنه ينال الزواج منها .

فخشي الملك أن تكون متآمرة على الغدر به، وهاهم يكافئونها بالزواج من ملكهم .. فكلف الدعسان ببحث هذه القضية الشنيعة والمزعجة لكرامته .. فكتب دعسان لمولاه" شككت بشيء عندما بدأت المراسلات بينكم، وكان الحال طبيعيا، ولن نعرف الحق إلا منها ، أو من سريان الذي علمت أنه وراء هذا النكاح ، علمت ذلك من بعض جواريها.. وعلمت أنها خطفت لأن حرسها لهم دور في اللعبة، وقد منعوا رجالنا من المشاركة في حماية الهودج .. وقد علمت أن والدها عجب من عودتها بعد ذلك الغياب ، فأخبرته أن سريانو ساعدها في النجاة من رجال العصابات .. وستكشف الأيام الدواهي ".

فعلق الأمير محسن بعد قراءة رسالة الدعسان : الحمد لله ، رد كيدهم في نحرهم أيها الملك.. أنا منذ دخل علينا وفد الشعراء عند غزو تلك البلاد وقد انقبض قلبي أيها الملك .. يبدو أنها كانت مكيدة كبيرة دبرها سريانو اللعين

ـ كيف أيها الشجاع ؟

ـ كنا في حرب وقتال ، وقد هزمنا جيشهم وطلائعهم .. وفجأة جاءوا ومدح أحدهم الملك ، وأثنى على شجاعتكم وبطولتكم بقتل الملك شجاع وسري بن شجاع ، ثم نهض الشعراء الآخرون للحديث عن النساء والجمال والحسن ووصف الأميرة نهيلة بنت حس غاب..

بطريق أثارت انقباضي .. خاصة لما لاحظت تعلقك بتلك الأميرة ، وأخذت تسأل عن والدها وقومها .. وفكرت أن يكونوا دسيسة وعيونا .. حتى أكد لي الدعسان أنهم شعراء فحسب ، يترددون على الملوك والأمراء لنيل المال ..

ـ أنا أكد لي الأمير مقداد زوج أمي .. أن من عادات الشعراء مدح الملوك في الحرب والسلم.. وليس لدي خبرة في آداب الملوك.. والحرب حرب ماذا يفعل جاسوس عند التقاء الجيوش؟!.. فلا يهم وجود عين بيننا .. والعيون موجودة بين الفريقين المتقاتلين.. لكني لم أكن أعلم أن بينها وبين شجاع قرابة ، ولم يذكر ويشير أحد لذلك.. بل عجبت من عدم إجباره والدها على إنكاحه إياها عندما هزمته .. اليوم وضح لي ذلك الغموض .. فقد عرفنا أن شجاعا مجرما سفاحا غادرا .. فهو قد نكح خالتها من زمن بعيد.. ولما سمع بحسن ابنة أختها رغب فيها زوجة ثم تفاجأ بشرطها ولم يفز عليها .. كانت المبارزة حقيقية

ـ سمعت الأمير الدعسان يؤكد صحتها .



كيد

وبعد استعادة قصة نهيلة مع الملك ضرغام، وبعد تفكير عميق قال الملك لقائد حرسه : هل ترى أنها ماكرة وكانت تلعب دورا خبيثا مع سريانو ؟

ـ فكرت كثيرا في علاقتنا بها .. فإما إنها ماكرة ، وكانت تعمل مع سريانو .. وإما سريانو ورطها دون علمها معنا.. كان يعمل خفية ويحركها بأعوانه.. لأنني علمت بأن لها شقيقة مشهورة بالمكر والكيد .. فخبر وجودها بوادي السبع ربما كان طعما لنا وإغراء لنا لنذهب إلى هناك ثم يحدث أمر ما .. أرى أن المعركة لم تنته حتى يقتل سريانو وعصاباته.. فرغم احتجاز أسرته ، فهو يعبث بملك تلك البلاد وحكامها .. فهو يعلم مصيره ؛ فلذلك عليه أن يقاتل لآخر لحظة .. ولو صرعنا أهل مدينته كلهم قتلا لا يكترث.. والدعسان عاجز عن القبض عليه .. وبما أنه منقذ للأميرة سواء علمت أم لم تعلم فهي لعبة بين يديه .. وهو وراء زواجها مكافأة لها على دورها في اللعبة ، فهو يدبر للمكر بملك قدم الغزال .. إني أفكر بمكر رهيب مولاي الملك .. سأتبعه بنفسي ، وقد فهمت مكره ، فأذن لي بذلك .. لابد من صيده وإنهاء حياته .. لعلنا بإعدامه الحياة ننعم بالسكينة والحياة وبناء البلاد

ـ حياتك ثمينة أيها الشجاع ..

ـ أخشى أن يصيبك شيء من حقده ومكره .. أرجوك أن تسمح لي بالتحرك مع الدعسان ورجاله في مطاردته والفتك به.. سأعرف إذا كان بينه وبين تلك الأميرة مكر .. فسأقترب منه.. هم فعلا لا يعلمون مكانه أعني أهل قدم الغزال.. لكنهم يخافون منه .. الناس تحب السلام والسكينة .

ـ وبماذا تفكر ؟

ـ أفكر بأن أجعل من نفسي طعما له مرة أخرى كما طمع فيها من قبل كما تذكر

ـ والد الأميرة الملك حسن غاب متورط معهم ؟

ـ لا أعتقد ، فهو كان سعيدا بزواجها من الملك ضرغام وإلا لماذا قال كيف لها نجوت ؟.. فلو

كان يعلم بحيلة ما ما سألها مثل هذا السؤال ؛ لأنه يكون على علم بكيف نجت ؟

ـ صدقت أيها الشجاع، لو كان عالما ما نقل عنه هذا الاستفهام .. أتعرف الأميرة مكان اختفاء سريان ؟

ـ لا أعتقد أن يجعل روحه بين يدي امرأة .. الأرجح أنه استغلها .. فأرسل إليك الشعراء ، ثم ذهبوا إليها بعد رؤيتهم لك ليصفوك لها كما وصفوها لك، وذكروا لها إعجابك ومدحك لها وطمعك بها فالذي أصابك أصابها وجرى ما تعرفه يا مولاي الملك .. بدأت أو فهمت هذا الشيطان .. فاللعبة كبيرة ، وهي بدأت بعد مقتل الملك شجاع .. لقد جاء الرجل إلى هنا يبحث عنك عندما جئنا إليها أول مرة .. هكذا أخبر أعوانه الجرحى عندما جالستهم.. وعندما قتلنا الملك كانوا يرون أن القتلة رعاة ، ثم لما انكشف الأمر ، وظهر الملك ضرغام منتقما أرسلوا الشعراء للفت نظر الملك لتلك الأميرة الجميلة التي يتغنى بجمالها وحسنها الشعراء وعن فروسيتها ..

ـ نعم ما تقول أيها الشجاع .. فهو الذي خطط لجريمة غدير الدم كما أخبر شقيق أبي للدعسان جلس الأمير محسن بن جدي الراعي يفكر بالطعم الذي سيضعه أمام سريان ، ثم تذكر أن سريانو لا ينفذ خططه بذاته إنه يجلس في مكان خفي يحرك رجاله وأعوانه ، والذين يقبض عليهم يسمعون اسمه يتردد بينهم ، ولا يرونه ، ويختفي كالظل .. فزعيم العصابة الذي قبضوا عليه زعم أنه يعمل وحده ، ولكن ترتيب المكيدة ومراقبتهم يدل على عمل مدبر ومنظم .. فسأل نفسه " الرجل له جواسيس في المدينة .. هل أعيد الكرة وأنشر نبأ بسفري لقريتي لزيارة أهلي ؟..الأم التي تحمل لقب أم الملك والأخت أخت الملك .. أيصلح هذا طعما لصيد سريان؟.. احتاج لمساعدة الدعسان .. لو قبض اللعين على أحد أعوان سريان المقربين لوصلنا إلى اللعين.. لو نتواجه فأنا مستعد لمبارزته.. ولكنه جبان ماكر لا يظهر كما يظهر الفرسان.. رحلة صيد كطعم .. الملك لا يحب الصيد كوالده الملك مطر لنصطاده في ميدان الصيد .. هذا طعم مغرٍ لكن حياة الملك أهم وأخطر .. كم فارس تحتاج هذه الخطة ؟..

مخاطرة كبيرة .. كما نفكر فهم يفكرون .. غدير الدم بعيد عن مدينتنا.. أربعة أيام من المسير.. البلد بحاجة لأعمار قبل القتال .. سأرسل فرسانا لجهة غدير الدم خفية ، وعلى دفعات ثم أخرج جهارا نهارا في رحلة صيد للغدير.. سينقل له جواسيسه رحلة صيدي، وسأشيع أن الملك خرج معنا متنكرا .. هل يفوت اللعين هذه الفرصة ؟ لا أعتقد .

قال الملك : آه أيها الشجاع هل وجدت حيلة لتمكر بالرجل ؟

بين محسن للملك حيلته فسر بها الملك وقال : إنها حيلة ذكية! .. أنت داهية أيها الشجاع .. سيغتنمون هذه الفرصة .. وأنا سأعتكف عند خروجك في البيت ، ولا أخرج للديوان ليثبت أني خرجت للصيد خفية .. وسيجلس الوزير مكاني لسماع الأخبار وشكايات الناس .

ـ أحسنت يا مولاي !

اختار قائد الجيش فوزان الذي استسلم القيادة لجيش البلاد بعد وفاة والده الفهر مائة فارس ممن له دراية بذكائهم ، وهم أشداء الرجال وأخلصهم لسيد البلاد.. وخرجوا من المدينة بدون خيل ومظاهر عسكرية إلى مكان في الطريق حيث سيجدون خيلا وسلاحا .. وكل مجموعة تسبق التي قبلها بيوم وعليهم التجمع عند غدير الدم والاختفاء حوله ريثما يأتي القائد محسن ، وخلال أسابيع اختفى الجنود المائة ، وجاء الدعسان قادما من بلاد دغفل ، وأطلعه محسن على المكيدة فأعجب بها، وأثنى على الأمير الثناء الطيب ، وهو أخذ يرسل عياريه خفية لقرب المكان .. والاختفاء في الغابات وكلمة السر بينهم وبين الفرسان.. محسن .. ثم انتشر خبر رغبة الملك برحلة صيد لغدير الدم حيث استشهد أبيه ..

وبعد أيام خرج محسن برجال الصيد وهواة الصيد ، وقد أشيع أن الملك بينهم متنكرا .. واختفى الملك بدور النساء ، ولم يعد يتردد على الديوان .

وصل فريق الصيد إلى غدير الدم، ونصبوا الخيام واشتعلت النيران، واشتعل الصيد والركض واتصل الدعسان بالعيارين والفرسان وأخبرهم أن يبقوا في أماكن اختفائهم، وأخبر العيارون أنه ربما بلع القوم الطعم ، فهناك نيران تظهر في بعض الجبال والتلال .. وفي الليلة الرابعة من

وصول محسن لغدير الدم ازداد عواء الكلاب، وكان محسن يجلس في خيمة السمر فقال: الكلاب نباحها على غير العادة الليلة .. فليجتهد كل منكم ألا ينام .. فهؤلاء غدروا بالملك مطر قبيل الفجر بزمن يسير عندما يغلب السهران على نفسه

وعند الفجر أحاط عشرات الرجال بمعسكر الأمير محسن زاعمين أنهم رجال صيد مثلهم ويرغبون بالسلام على الملك ضرغام .

فقال أحد الحرس: وهل الفجر وقت لزيارة الملوك؟! .. عودوا في الظهر أيها الأضياف .

أبعده أحدهم عن طريقه واندفعوا نحو الخيمة الملكية، ولكنها كانت فارغة من الرجال .. وبدأت المعركة وسقطوا كالغزلان بين أيدي رجال الأمير محسن والعيار الدعسان ، ولم ينجو منهم أحد .. فمن حاول الفرار قتل فورا .. وكانوا قريبين من المائة .. فلما ظهرت الشمس مشرقة خرج الأمير محسن يتفرج على الوجوه ذهابا وإيابا وفجأة وقف وأشار لأحدهم وقال : أنت سعدانو ..؟

رد الرجل وقال : لست سعدانو .. أنا أحد الناس.

صاح محسن فيه : أحد المجرمين .. كيف رأيت كيدنا ؟ أمر محسن بحرقه أمام الأعوان فتقدم أحد رجال الدعسان بمشعل مشتعل وقربه من وجهه فصاح: اقتلني بالسيف ، ولا تعذبني بالنار .

وضع العيار النار على ظهره فصرخ ألما ، فقال محسن : من أنت ؟ أين سريانو وسعدانو ؟

ـ لا أدري .

قال محسن بغضب : احرقهم فردا فردا ، فهؤلاء لا يستحقون الحياة .. لابد أن في أعناقهم الكثير من الأرواح .. فهؤلاء من قتلة الملك مطر رحمه الله ..

جمع الجند الحطب واشتعلت النار في حفرة عميقة قال محسن : من دل على سريانو وسعدانو لا تلقه في النار.. وسأعفو عنه.. ومن أصر على الكتمان فاقذفه فيها ..

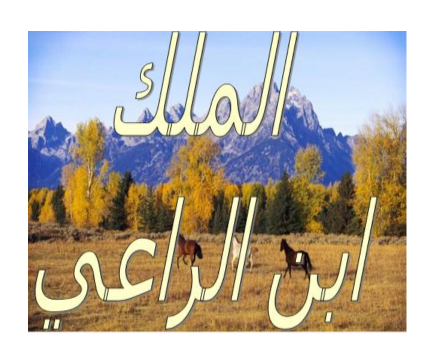
وابتعد الأمير محسن والدعسان عن المكان ، وبدأ الصراخ والصياح.. وكان محسن يقول

لرجالهم : جاءوا متلهفين لقتل الملك .. وقبل أن يلقي الرجل الرابع في النار صاح : أنا سأعترف أيها القوم

فنظره ورمقه الرجال وقال لهم : علينا أن نعترف بالهزيمة وننقذ أرواحنا .. فالملك شجاع مات وشبع موتا.. أنا مولاي الأمير سأعترف لك بمكان سريانو وسعدانو .. فسعدان موجود بيننا .. أما سريانو فهو مختبئ بمدينة قدم الغزال .. هذا هو سعدانو ؟

وأشار لرجل فصاح الرجل المشار إليه: كذب أيها الأمير ما سعدانو إلا هو يريد أن يضحي بي للنجاة

ـ أقسم يا مولاي الأمير أنه هو سعدانو .. وهو قد شارك في قتل الملك مطر .. وسعى للفتك بك وأنت عائد من قرية جديلة .. وهربنا لما هجم علينا العيارون ..



خطف أم الملك

اعتنق الملك ضرغام الأمير محسنا وقبله من رأسه وقال مادحا : بطل الميدان يا أخي الشجاع ! سقط أحدهم وسيسقط الآخر .. بارك الله في همتك .

قبل محسن يد الملك ووجنتيه وشكره ، وانتقل الملك يعانق الدعسان وباقي الفرسان ، ويثني عليهم الثناء الكبير، وقال لدعسان مهيجا : عليك أن تكشف لنا الشخصية التي يتخفى خلفها سريانو في بلاده .

قال الأمير دعسان : سنصل إليه أيها الملك الشجاع وبهمة الأمير القائد محسن

عرض الأميران الرجلين على عم الملك المدعو طل ، فنفى أن يكون أحدهما سعدانو وأخذ يصفه لهم ، فدهش الأميران لكذب الرجلين ، فاضطر الدعسان لإحضار زوجات وأبناء سعدانو لمشاهدتهم ، وعرض الأسيرين عليهما فأكدوا كلام الملك طل ، فأصدر الدعسان الأمر بقتلهما وصلبهما لخداعهم لهم، وأدرك أنهم لعبوا لعبة لإنقاذ السعدان ، وقتلا بعد موافقة الملك.

وعرض الأمير محسن جميع الأسرى على الملك طل ، ورغم علته وضعف بصره استطاع معرفة السعدان من بين الأسرى ، فهو شارك معه في قتل شقيقه وحاشيته ، ولما عرض الرجل المختار على الزوجات والأولاد أقرن أنه الرجل المطلوب .. ورفض الرجل تقديم أي معلومة عن صديقه سريان .

فحبس عنه الطعام عدة أيام، ورفض الاعتراف بشيء عن سريان، فقضى الملك بإعدامه أمام العامة والانتهاء منه، فهو أحد قتلة أبيه وتم ذلك بأسرع جهد .. وأخذ الدعسان التحقيق مع باقي الأسرى، ومن وجد منه تعاونا نقله لحبس آخر ، ومن لم يجد منه تعاونا أرسله للقاضي ليحكم عليه بما يراه من عظم جرمه .. وأمر القاضي الجلاد بقتلهم لدورهم في القتل والفساد في الأرض.. وثبتوا عند الموت، ورفضوا الدلالة على سيدهم سريان .. فتسأل الدعسان : هل حقا سريانو في المدينة متنكرا ؟! ذهب الدعسان للأمير محسن وأخبره بمصير الأسرى وأن

بعضهم أخبر أن الأمير متنكر داخل المدينة .. ولا علم لهم بشخصيته المتنكر بها .. وهؤلاء كلهم شارك في جريمة قتل الملك مطر .. وارتبطت حياتهم بسعدانو وسريانو .. فلا تشفق عليهم ولا تحزن .. والقاتل ظلما يقتل ولو بعد حين .

ـ أترى أن ذاك القاتل متنكر في المدينة كما همس من لم يقتل منهم ؟

ـ ظهر لي خلال هذه السنوات أن الرجل قوي ومرعب، وله اليد الطولى في البلاد أيام الملك شجاع .. فله أعوان وأنصار .. وهو ذكي ويعمل بذكاء ودهاء.. فربما يتنكر من العامة ، أما علية القوم فهم يخافونه ويعلمون بطشه وسطوته .. فهو قد كان رجل شجاع القوي .. وها هو قد جعل الملك الشاب ينكح طليقة الملك ضرغام.. رغم ما يعرف أن هذا مزعج للملك ضرغام.. ما زال قويا داخل المملكة .. وعلمت من هؤلاء الأسرى أنه نكح إحدى بنات شجاع ، وقد هلكت بحادث غرق.. ولكن بماذا سيتنكر هذا الشيطان ؟ أمهلني أيها الأمير أياما أفكر بما يمكنه أن يتنكر هذا الرجل.. فقد جاءنا سعدانو بدون تنكر قائد يقود سرية للحرب .. ورأيت أنت كما رأيت أنا كيف حاولوا الاحتيال علينا بزعم أحدهم أنه سعدانو ؟ وكيف الآخر زعم ذلك ؟ ولم يكن كلاهما بسعدانو ؟!.. تضحيات كبيرة .. وعم الملك نفى وجود سريان بينهم فهو رغم سجنه الطويل ما زال يذكر شركاءه في الجريمة.. فقد صحبهم وعاشرهم عندما سار ملكا ، وسكروا معه وعربدوا معه .. وهما كما قال رسما مكيدة التخلص من الملك مطر عند غدير الدم



كان الأمير محسن يرى أنه بموت سريان وسعدان قد تهدأ المنازعات الخفية والثارات لحين ، وقد يستمر السكون عشر سنين عشرين سنة .. قضي على أحدهم .. والسؤال الذي سأله الدعسان عن الشخصية المتخفي وراءها سريانو .. هل حقا الرجل متنكر ويسكن في المدينة ويثير هذه الحرب الخفية ؟!

وتابع أفكار نفسه: أنا مدرك لشراسته وقوته وسيطرته الشديدة على أعوانه ، وهو مخيف لقومه ومزعج لهم ، وأغلب الناس تحب الدعة والسكون .. وأتخيل أنهم مرعوبون منه ، ويتمنون مثلنا الخلاص منه ما دام أجبر الملك على الزواج من طليقة الملك .

ولكن من يجرؤ للخلاص منه والقضاء عليه، فله أتباع ساروا على مدار الزمن سادة وقتلة ، وكانت لهم اليد الطولى أيام الملك شجاع .. فإذا صدق تفكيرنا فإن الأميرة متعاونة معهم ، وحاولت المكر بالملك وجره لمدينة تتان لاغتياله .. فلولا رعاية المولى سبحانه ..وحفظه لتعرض الملك للكيد والمكر.

وبينما أميرنا يبحث عن ثغرة يتوصل بها لسريان للقضاء عليه وعلى باقي أعوانه جاءه طارق ، فأدرك أن الملك يريده ؛ لأنه لا يطرق بابه في مثل هذا الوقت من الليل إلا الملك أو رسوله أو الوزير أو الدعسان أو نائبه على قيادة الحرس الملكي .

فاستقبل الرسول الذي يعرفه حق المعرفة خشية المكيدة ، كما هو متفاهم مع الملك والدعسان بالنسبة للرسل بينهم .. لبس ثيابه وأيقظ حرسه وسار بكوكبة منهم نحو قلعة الملك الجديدة التي انتقل إليها منذ أيام .. وسينتقل للحياة فيها الأمير عندما يجهز قصره فيها .. فلما كمل تجهيز قصر الملك رحل إليها ..

دخل مجلس الملك في القصر الجديد فشاهد زوج أخته سيرة .. وبعض أهل قريته فرحب بهم ، وعانقهم وأحس أن كارثة حلت بهم أو أن أمه ماتت ، فحدق النظر في وجه صهره ونقله للملك : أنا في حيرة يا مولاي !

قال الملك بغصة : نكبنا أيها الأمير!.. لقد تمادى اللعين ـ وأشار الملك لزوج سيرة أن يتحدث ـ فقال الرجل بعدما مسح عينيه : جاءتنا عصابة زعموا أنهم عابرو سبيل .. ومكثوا بينا ضيوفا أياما .. ثم جمعونا أمك وزوجها سهام وأخويك فقد ولدت أمك أخا آخر لك وزوجتي والأولاد وقالوا : هؤلاء رهائن لدى الأمير سريانو حتى يفرج الملك ضرغام والأمير محسن عن نسائنا وأولادنا والأمير سعدانو والأسرى، ثم ساقوهم إلى حيث لا نعلم ،

وأرسلوني رسولا إليكم أنا وهؤلاء الرجال من القرية لننقل الرسالة لكم .

وخيم الصمت على المجلس، وبعد لحظات فرك محسن لحيته وشفته وقال : إذن سيبعث لنا رسالة يبين لنا فيها كيف نسلمه الأسرى ونسترجع أسرانا ؟

فقال صهر الأمير : كأنني سمعتهم يقولون ذلك .. قال أحدهم عندما تكون أمام نسيبك سيكون رسول بينكم .

فقال الأمير : حسنا

وأمر الملك بقيادة أهل القرية لدار الأضياف وقال : سأنتظر رسالته أيها الأمير .. وتنهد وتابع قائلا : لن تنتهي الحرب إلا بقتله وكما صدنا سعدانو سنصطاده أيها الأمير

قال الأمير : قبل مجيء رسولك كنت أفكر بالصفة والهيئة التي يتخفى بها اللعين ونتشاور في الحيلة التي نصطاده فيها .. وتركني الدعسان وكنت سهرانا أشرق وأغرب في الطريقة التي سنصل فيها إليه .. وهو في فعلته هذه يغريني بالبدء بمطاردته بنفسي وسيفي .. عندما نقابل الرسول لعلنا نجد وسيلة للقبض عليه وسيقع بإذن الأحد الصمد .

عاد الأمير لقصره في داخل المدينة ، وعاد يفكر بسريانو وهمس لنفسه " كنت أتوقع هذه الجريمة ..هذا الانتقام .. هم خاصرة ضعيفة أعلم هذا .. ولكنهم رفضوا الرحيل .. لم تعد بلدتنا بلدة مسالمة .. صرنا أمراء ولنا أعداء وهم بعيدون .. وقد صار لنا أعداء وخصوم .. وأولئك لن يتنازلوا عن عرشهم بسهولة .. وهم أشداء يا محسن .. فسريانو كان الحاكم الفعلي بين يدي الملك شجاع .. فهو الذي كان يؤمن له الخليلات ويحافظ على أمنه.. الخليلات .. الخليلات .. عظيم يا محسن! .. رجل كهذا لا يخلو من العشيقات.. النساء.. الباب هن الباب .. الدعسان لم يتحدث عن عشيقات .. له ثلاث نساء بين أيدينا .. الحديث معهن قد يفيد .. سأرسل الدعسان إليهن لمعرفة أشهر خليلاته .. وإن فشل سنحتاج لامرأة تسلب المعرفة منهم.. لقد شجعت أمي وأهل القرية بالرحيل لمجاورة الملك ضرغام كنت أخشى عليهم مثل هذا الظلم والاعتداء .. وها هو حدث .. فكما نمكر هم يمكرون .. ونحن

في زمن قوة ، وهم في فترة ضعف .. فكيف نستفيد من قوتنا ؟ هل نستطيع عن طريق الرسول الوصول إليهم ؟ لابد أنهم ذو فطنة .. وحذر .. علينا متابعة الرسول ومعرفة مكان استقراره قد تصل الرسالة عن طريق سلسلة من الرسل للتمويه والخداع .. عليّ بالدعسان لمتابعة هذا الخيط لعلنا نصل لشيء .. الرجال مصممون على الانتقام لملكهم الهالك .. يبدو أن الرجل لم تصله أخبار موت سعدانو .. أو الذين ذهبوا للقرية يجهلون ذلك ..

أرسل وراء الدعسان وحدثه عندما التقيا عن حادثة القرية وأسر أمه وأخته من قبل سريان ، فاستشاط الدعسان غضبا ونقمة على سريانو .. وحثه على متابعة الرسول ، ونبهه على التسلسل الذي قد يكون يتبعه سريانو .

جاء الرسول بعد أيام وقدم الرسالة للملك ضرغام الذي لم يأمر بفضها حتى مجيء الأمير محسن الذي ساق معه الدعسان ورجل آخر لينظر هيئة الرسول خفية ، وكان فيها الذم واللعن لتعجلهم في قتل السعدان ورجاله .. وفيها الدعوة للسلام والأمان والعفو عن نسائه وأولاده ونساء سعدانو وإنهاء حال الخوف والإرهاب .. وطالب بترك أخذ أموال البلد ، وأن يتسامح بدم الملك مطر بمن قتلوا خلال هذه السنوات ، ويعتبر موت ملك بملك .

قال الوزير مقداد: أتراه في موقف قوي بعد أسر أم الملك وأخته ؟

قال محسن : لقد سعيت لنقلهم هنا وتشجيعهم بدون إيضاح الخطر المحيط بهم .. حتى لا أثير الخوف في القرية ؛ لكنهم لم يهتموا بدعوتي .. قلت لهم حالنا اليوم ليس كالأمس .. قلت لأمي أنت أصبحت أم الملك وأم الأمير .. لم تبال أصروا على البقاء والحياة في القرية .. لقد خشيت مثل هذا الخطر .. لم يفهموا مخاوفي .. أما بالنسبة للعفو عن حياة سريانو مقابل حياة أمي وأختي وأولادهما فلن أكون عاقا لها ولأختي .. فهذا يرجع للملك .. وهذا الرجل ماكر لئيم شيطان فلن تهدأ الحال إلا بموته صدقوا هذا .. فهو لا يأمن لنا ، ونحن يجب أن لا نأمن له ..

فقال الوزير : لا وفاء عندهم

قال محسن : نعم ، فأبناء الملك شجاع لم ينهضوا للثأر منا بعدما وضعت الحرب أوزارها؛ لأنهم يعلمون ظلم وبغي أبيهم للعباد والبلاد فسلموا بالواقع .. وقام الرجل اللعين بحمل العبء عنهم لأنه يدافع عن نفسه .. وأنا أرى أيها الملك أن تكتب له " ومن يضمن لنا حياة الناس الذين بين يديك ، وأنك لا تعاود الغدر بنا وكيف نثق بك؟ " .. سيتبع رجال الدعسان الرسول وسأسعى لمطاردته .. ولتطل بينكم المراسلات.. ونحن خلال هذه الفترة سنصل إليه .. سأتنكر بزي بائع متجول ، وأذهب لمدينة قدم الغزال .. وسيتبعني الدعسان متخفيا لنعرف أين يختبئ اللعين ؟ .



مطاردة

رتب دعسان العيارين بحيث يقتفون أثر الرسول بمهارة ودون أن يشعر بهم ، فتنكر بعضهم على هيئة الشحاذين ، وبعضهم على هيئة عامة المسافرين ، وكان الكاتب كتب رسالة كما أشار لهم محسن .

دخل الرسول قصر الملك دغفل ، ولم يخرج حتى هبط الليل ، ثم خرج بثياب غير التي كان يلبسها .. وتبعه رجل الدعسان حتى دخل منزلا في المدينة ، وهو تحت العيون المتعلمة على حسن المراقبة .

وظل يقبع حول البيت حتى زاد الوقت عن نصف الليل فانصرف إلى بيت العيارين الخفي في مدينة قدم الغزل .. لقد اتخذ العيار الدعسان ثلاثة منازل يعمل به عياروه خفية في المدينة ، ويمتهنون حرفا تخفي أعمالهم الحقيقية .

وقبل ظهور الفجر أخذ العيار رفيقا ومشيا إلى منزل الرسول كما اعتقد العيار المراقب ، وفي الصباح الباكر خرج الرسول إلى بيت آخر، ومكث فيه ردحا من الوقت .. ثم خرج رجل آخر من البيت ، وسار خارجا من المدينة ، وتبعه أحدهم فسار باتجاه مدينة تتان مدينة والد الأميرة نهيلة .. فاحتار العيار حينئذ هل يتابع أم يرجع ليخبر سيد العيارين ؟

وصل الدعسان والأمير محسن متنكرين لمدينة دغفل الأمير بائع متجول على حمارة عرجاء يضع عليها خرجين ممتلئين بالبهارات والكحل والأمشاط والعطر وفي صوته بحة ينادي بها على بضاعته.. ويتبعه الدعسان على هيئة رجل أعمى يرتدي ثيابا لا يلبسها إلا متشرد .

سمع الرجلان من العيارين أخبار الرسول وغيرها من الأنباء، وسرا لاستمرار المتابعة وقال محسن للدعسان : أعتقد أن لسريانو أعوانا داخل القصر دون علم الملك .

ـ قد تكون الملكة الجديدة تعمل معه !

ـ فكرت كثيرا بقصة الأميرة نهيلة .. فما الفائدة من الزواج من الملك والعمل لسريانو؟ .. أعتقد أنه زوّجها منه مكافأة لها لدور قامت به دون فكر منها؛ لكن كيف قبلها الملك هذا

السؤال ؟!.. لقد تحدثت مع نساء سريانو مستعلما منهن عن خليلاته، فبعد تردد ذكرت واحدة منهن أن عشيقاته لا عد ولا حصر لهن ، لا هو ولا الملك شجاع .. فجل حياتهم الفجور واللهو والشراب .. وواحدة زعمت أن زوجها لم يعرف العشيقات إنما كان يساعد الملك في ذلك، وأنه لم يعرف الخيانة الزوجية .. والثالثة قالت سمعت أن له عشيقة واحدة .. هجرها الملك فاتخذها من بعده خليلة اسمها قرنفلة وهي مشهورة في المدينة .

فقال الدعسان : عجيب ! .. هنا بغي مشهورة تحمل هذا الاسم لعلها هي ؟

وأمر أحد عياريه بمراقبة بيتها ، ووجد العيار أن العشاق ما زالوا يترددون على بيتها خاصة بالليل .

دخل عليها الدعسان في أول النهار وزعم أنها على اتصال بسريانو ، وأنه يتردد عليها سرا ، فأقسمت بكل عظيم أن علاقتها بسريانو انتهت قبل مقتل الملك شجاع ، فقد هجرها سريانو بعد انتهاء علاقتها بالملك بزمن يسير ؛ لأن الملك اعترض على علاقته السرية بها، وذكرت له اسم فتاة أخذته منها .. واستطاع الدعسان معرفة أكثر من عشر عشيقات للرجل داخل المدينة ، لم يكن يقضي معهن إلا زمنا قصيرا ، ثم يهجرهن بزعم أن الملك حذره من ذلك ، ووجد عند إحداهن خبرا يفيد أن مرضا أصابه ، فابتعد عن النساء والزنا، وذكرت اسم عشاب كان يعالجه ، فزاره الدعسان ، وأكد له العشاب أن الرجل أصابه مرض منعه من معاشرة النساء.

فعقب الدعسان قائلا على نتائج هذه الأخبار : نعم ، ليس لسريانو أولاد دون العاشرة .. ونساؤه لم يشرن لهذا المرض أيها الأمير

ـ لا ، لم تذكر إحداهن عجزه عن إتيان النساء .



استمرت خلال الأيام مراقبة البيتين اللذين دخل فيهما الرسل ، وعاد الرجل الذي خرج من

المدينة في اتجاه مدينة تتان إلى بيته بعد أيام ، ولما دخل الليل مشى إلى بيت الرسول الذي زار مدينة الرعاد.. وذهبا إلى أحد إسطبلات البريد ، وركب الرجل على بغلة بيضاء ، والآخر ركب جوادا ، فالأول صاحب البغلة اتجه نحو مدينة الرعاد ، والآخر اتجه نحو مدينة حسن غاب .

ولما أمسى الرسول خارج مدينة قدم الغزال هجم عليه ثلاثة رجال ، وأخذوا بغلته وما معه من مال والرسالة ، وتركوه مثخنا بالجراح موهمين إياه أنهم لصوص طمعوا فيه ، فترجاهم أن يدعوا له فقط الرسالة ، وكل ما أخذوه حلال عليهم فرفسه أحدهم قائلا " لمن هذه الرسالة المهمة لك؟.. افتحها يا غصن لعلنا نجد فيها شيئا مهما لنا "

صرخ الرجل ، فانهالوا عليه ضربا من جديد حتى فقد وعيه ، وابتعدوا نحو الوادي القريب منهم يراقبونه .. ورأوه قد فاق وأخذ يمشي نحو المدينة التي وصلها آخر الليل مهشما باكيا، ولم يمش لبيته إنما سار نحو القصر الملكي .. وبعد حين خرج من القصر فارسا على جواد ، وكانت طريقه إلى جهة بلاد تتان .. فأدرك المقدم الدعسان أن سريانو منزله الخفي في جهة تلك المدينة .. فوضع خطة تحرك في تلك الجهات ، وظلوا يرقبون عودة فارس القصر الليلي .. فقال محسن : هل الملك متواطئ معهم خفية ، ويسهل تحركاتهم ليحقق مأربه في الانتقام لوالده كما فعل ضرغام الملك .. أو أن لسريانو أعوانا مهمين في داخل القصر ؟

وعاد الفارس الليلي يصحبه فارس آخر.. وعرفت المنطقة التي يخرجون منها فهي تقع بين المدينتين .. شعب يصعد إلى غابة جبلية .. ترك الرجلان يسيران نحو المدينة .. وتحرك ثلاثة أعوان في الشعب ، وقد سلكوا دربا غير مطروق وبعد مسير مضن لاح لهم قصرا في إحدى الغابات فقال أحد الأعوان : يبدو أن هذا القصر المختفي في هذه الغابات هو قصر الشيطان سريانو

وقفلوا أدراجهم عائدين إلى مدينة شجاع ، وأحيط الدعسان ومحسن بالقصر الخفي في غابات شيخ عسير.. فقال محسن : هذا تقدم عظيم أيها الرجال!.. كيف نصل لهذا القصر خفية دون

أن يحس بنا أحد ؟

ـ الفارسان دخلا القصر أيها الأمير .. الحمد لله أن جهودنا بدأت نتائجها تبرز .. هل من حيلة يا أميرنا ؟

ـ وماذا فعلا في القصر ؟

ـ أخذوا الجريح وسعوا إلى قتله ، فأنقذه رجالنا وساقوهم إلى محبس سري .. وحاول أحدهم الهرب ، فرماه أحد رجالنا بنشاب فأرداه ميتا.. والرجل الآخر قبع ساكنا بين رجالنا .. والجريح لزم الهدوء .

ـ من الذي قتل ؟

ـ فارس الغابة .

قال محسن : بعد حين سنسهل هرب فارس القصر لنعرف مع من يتعاون داخل القصر .. لنتأكد هل الملك على علم بما يجري داخل قصره أم جاهل بذلك ؟ يبدو أنه ملك ضعيف .. ثم على رجالنا الاختفاء في مدخل الغابات .. لنرتب لاقتحامه والتسلل للقصر الخفي .. سيكتب سريانو رسالة جديدة للملك ضرغام بعد ضياع رسالته الأخيرة .. سندخل نحن القصر ، ونقضي على الرجل ، ونريح العباد من شره وبغيه .

وأثنى الأمير على فرسان مقدم الأعوان الدعسان ، وبارك جهودهم وشجاعتهم ، وأعلمهم أنهم بعد القضاء على سريانو سيعودون جميعهم للبلاد ، وسيتركون هذه المدينة آملين أن تنتهي الحرب إلى حين بعد مقتل سريانو وأعوانه .

قال محسن : الأميرة نهيلة أظهر منها شيء بعد زواجها ؟

ـ هي زوجة الملك، ولا أعتقد أن سريانو يا مولاي القائد يأتي إلا هنا لمقابلتها .. إنها امرأة تعيش بين نساء الملك.. الملك له ثلاث زوجات معها.. لم يخبر صديقنا في القصر أن لها نشاطا مثيرا .

استطاع الأسير أن يهرب من محبسه ليلا ظانا أنه استغفل الحارس.. وكان هربه جهة الغابة..

ومنها اتجه نحو المدينة ، وفي الصباح كان يطرق باب القصر الملكي، ولمعرفتهم بشخصه سمحوا له بالدخول، وكان رجل الدعسان في القصر في انتظار متابعته، وعرف المكان الذي يرقد فيه ومع من يجتمع ، وبعد مكث لم يطل خرج الأسير الهارب راكبا جوادا في اتجاه مدينة حسن غاب ، ودخل الشعب فأدرك رجال الدعسان أنه ذاهب لقصر الغابة الخفي .. ولم يخرج ذلك الرجل تلك الليلة.

رتب الأمير محسن خطة جريئة لاقتحام المكان السري.. فأرسل عشرة من رجالهم فرادى وأزواجا ليختفوا بقلب الغابة، وبعد يوم وليلة وصل محسن والدعسان لقلب الغابة ، فقال لهم أحد الرجال : رجل القصر لم يخرج بعد .

فعقب الدعسان قائلا: إما أن يكون قد قتل ، وإما لم يكلف بشيء بعد .. كم نحن في هذه الغابة ؟

ـ نحن عشرة وأنتم اثنان .

ـ وبعد حين سيتبعنا سبعة .. حتى يساعدونا إذا أحس بنا هؤلاء الملاعين ..

وقال محسن : ثم سيتبعهم خمسة بعد ثلاثة أيام.. وكلمة التعارف على بعض "مت في سبيل الله " .. قد نحتاجها في ظلام الليل .. سأتقدم أنا والدعسان وجود نحو القصر .. وإذا كشفنا أحدهم سنزعم لهم بأننا صيادون ـ وكانوا يلبسون ثيابا توحي بأنهم من أهل الصيد ، ويحملون شباكا تستخدم للصيد والفخاخ ـ وإذا لم نرسل لكم جودا فاعلموا أننا أسرى بين أيديهم.. فلا أتصور أن يقتلونا فورا ربما قتلوا أحدنا .. فإذا لم يعد إليكم جود فتصرفوا بالذكاء الذي تتصفون به .. وليبق أحدكم منتظرا للطائفة الثانية ..

قبل شروق الشمس تحرك محسن والدعسان وجود نحو القصر وكما يفعل الصيادون يتحركون بخفة ، اقتربوا من القصر دون رؤية أحد فقال محسن همسا : هذا الرجل لا يثق بأحد .. لا حرس ولا رجال في الطريق، كنت أتوقع أن نجد عددا كثيرا من الحراسات في الطريق .. أو نقاط مراقبة .

فقال الدعسان : أو عنده ثقة تامة أنه لن يدخل أحد هذه العرين .. فهذه الغابات الجبلية تكثر فيها الوحوش .

ـ لم نصدف إلا بعض الأفاعي والثعالب .. والماء شحيح في طريقنا .

ـ لابد من عين ماء أو أكثر .. هذا الوادي الأسفل منا كأنه سيل شتاء

وصلوا أسوار القصر من جهة لا يوجد فيها أبواب.. واختفوا في جوف كهف وأرسلوا جودا يستدعي الفرسان .. وصلوا آخر الليل على ضوء المشاعل .. ووجدوا الدعسان ومحسنا يقبعون في مدخل كهف في صفحة الجبل يصطلون حول النار ، ومعهم أرنبا سمينا قد صادوه داخل الكهف.. وكانوا قد صادوا أثناء النهار بعض الطيور الكبيرة ليظهروا أمام العدو المفاجئ أنهم فعلا صيادون ..

وفجأة سمعوا صوتا ، ثم سمعوا أحدهم ينادي.. فصاح الرجل من بعيد: من هناك ؟

فقال محسن وهو يظهر أمامهم : صيادون .. ألم تشم رائحة الشواء ؟ تعال فلحم الأرانب طيب عند الفجر

كان محسن أمر رجاله بالاختفاء في جوف الكهف ، فلما اقترب الرجل رأى محسنا والدعسان وجودا فقال : ما الذي أتى بكم إلى هذا المكان ؟

فقال الدعسان : كنا نطارد فهدا .. ثم شاهدنا هذا البناء في وسط الغابة .. رغم كثرة صيدي في هذه الغابات فهذه أول مرة أراه .. هل بني حديثا أيها الحارس ؟

فقال الحارس وهو يرى النار الخافتة تهمد: هذا قصر قديم ؛ لكنك أعمى فهو هنا منذ عشرين سنة أو أكثر.

قهقهة الدعسان وقال : عشرون سنة ولم أره إلا الأمس فعلا أنا أعمى .. ربما هذه أول مرة أقترب منه يا صاحبي.. فهو على جبل وأشجاره عالية وضخمة وكثيرة ، نحن من أهالي مدينة تتان التي يملكها الملك حسن غاب بلاد قريبة من هذه الغابات الشاسعة .

ظهر الانبساط على وجه الحارس وقال : أنتم من بلاد الملك حسن غاب.. قدم جود فخذ

أرنب للرجل وهو يقول " معذرة يا أخانا لم يبق غيرها .. لم نصطد كثيرا منها .. لم تقل لنا من سيد هذا القصر الخفي ؟"

ـ نحن لم نركم ، شممنا رائحة الشواء.. فقال رفيقي " رائحة شواء انظر من أين تأتي هذه الرائحة ؟ يبدو أن صيادين قريبون منا .. فتمشيت باتجاه الرائحة .. ثم سمعت أصواتكم ، فسرت إليكم .. أرجو منكم مغادرة المكان بأقصى سرعة .. فسيد القصر نائم ، لو كان مستيقظا لأصابكم منه شر ، فالأمير لا يحب أن يقرب أحد من القصر .. أرجوكم انصرفوا قبل فوات الأوان .

فقال محسن : لم تقل لنا لمن هذا القصر ؟

ـ ألم يبق شيء من الصيد لصاحبي ؟

ـ لدينا طائر لم يشوَ بعد ..أنشويه لكم ؟

ـ عجلوا بذلك ، وستجدوننّا عند الباب .. رائحة الشواء لا تقاوم .

وابتعد الحارس فقال محسن : الرجل يشعر بالأمان في هذا المكان.. أين يخفي أسراه أمي وأختي ؟!



سريان

شوى الدعسان ما تبقى من الطيور، ولاك بعض الفرسان شيئا منها وقال محسن : سأمشي إليهم أنا والدعسان بالطير هذا ـ وأشار للطير المشوي ـ ليأكلوه .. وسيقف جود على زاوية القصر بحيث يرانا ويراكم .. فإذا رفعت أنا أو الدعسان يده فوق رؤوسنا مقبوضة فاقتربوا منا .

لما رآهم الحارس مقبلين نحوهم ، أقبل نحوهم جريا ، وتناول الطير وهو يقول : ابتعدوا بسرعة قبل أن يستيقظ الأمير ويصيبكم سوء .. فالأمير لا يرحم .

فقال محسن : ويحك !.. نريد ماء ، هذه قربتنا فارغة ـ وكان يحمل بين يديه قربة ماء صغيرة ـ ألا يوجد لديكم ماء ؟

فأخذ الحارس القربة الصغيرة على مضض ، ورجع لصاحبه وأعطاه الطير المشوي وقال بضيق : خذ هذا .. سأملأ لهم هذه القربة .

ولما رجع بالماء وجد الرجلين عند الباب ، ولم ير صاحبه فقال : أين ذهب ؟

ـ ذهب إلى هناك لقضاء حاجة

وقبل أن يرد تلقى ضربة قوية من الدعسان ، ثم أغلق فمه ، ونقل أسيرا للكهف .. وزحف الفرسان ، وقدم للكلاب اللحم لحم خروف صغير ، وانشغلت بالأكل وقذفت بسهام مسمومة ، وصاحت فجأة ثم خمدت أنفاسها .. ولم يحدث شيء ، لم يطل شخص على الضجة ونظر الرجال في بعضهم .. فقال محسن : هل هناك كمين ؟

رد الدعسان : إنهم غارقون في النوم .. واقتحم الرجال القصر باتجاهات مختلفة .. ووجدوا غرفة فيها رجالا مستغرقين في النوم فقال أحدهم" إنهم الحرس " همس الدعسان " أغلق عليهم الباب .. وابق عند الباب "

وصعد محسن والدعسان وآخرون للطابق الثاني.. ولم يجدوا إلا رجلا واحدا وامرأة معه في حجرة .. وكانا مستغرقين في النوم.. ولما فتح الباب عليهما ظنت المرأة أن أحدهم يريد الأمير .

ووجد رجال الدعسان رجلا وامرأة في غرفة أخرى في الطابق الأول فعرفا أنهما خادم وزوجته استيقظ سريانو والمرأة على صوت الرجال يقتحمون الحجرة ، وكانا يبدوان مخمورين هو والمرأة.. قامت المرأة تلبس ثيابها.. وتم تجميع أهل القصر في ساحة القصر .. ولم يكن فيه إلا من ذكرنا .. فقال الدعسان للمرأة التي وجدت في غرفة من اعتقدوا أنه سرياني : من هذا الأمير؟

فقالت بحنق : من أنتم ؟

فقال الدعسان متهكما : لصوص كنا في الطريق لسرقة قصر فوجدنا هذا القصر

فصاحت : إلى أي البلاد تنتسبون ؟!

فقال الدعسان بنفس السخرية: كل البلاد بلادنا .. اللص لا بلد له .. لمن هذا القصر الذي كلفنا بسرقته ؟

فردت بجنون : هذا قصر الأمير جعفر .

ـ من جعفر ؟ إلى أي البلاد ينتسب جعفر هذا ؟

قالت صائحة : حل وثاق فمه ليجيبك الأمير جعفر .

أشار الدعسان لأحد رجاله بفك فم الأمير : افعل ما طلبت المرأة .

حل الرجل الحبل عن فم سريانو فتنفس الصعداء وقال : من أنتم ؟!

ـ ألم تسمع ما قلنا للمرأة ؟ هل هي زوجتك أم عشيقتك ؟

فصاح الأمير بغيظ : كلاهما ، إلى أي البلاد تنتسبون أيها الصعاليك ؟

ـ كما أخبرت قبل قليل ، طلب منا سرقة القصر هذا وأسر من فيه .

ـ ومن طلب منكم هذا ؟

ـ لا يهمك هذا .. نحن قبضنا ثروة كبيرة لاقتحام هذا المكان وأسركم ، وقد نجحنا بفضل الله هل ستسيرون معنا بكل هدوء أم ... ؟

ـ إلى أين ؟

ـ هذا سرنا يا أمير جعفر .. لماذا أنت تعيش هنا ما دمت أميرا ؟ وأنت أمير في أي البلاد ؟ وهل هؤلاء حراسك وخدمك فقط ؟

لم يتكلم فقال الدعسان ساخرا متهكما: أصبحت اخرس ! حسنا أيها الأمير .. جئنا لصيد الأمير المسمى سريان من أمراء بلاد قدم الغزال .. لقد خطفوا ناسا يخصون الملك ضرغام .. يبدو أننا أخطانا الهدف .

فقال محسن الذي استمر يسمع الحديث : يبدو هذا .. فلنقض عليهم قبل أن يكشف أمرنا .. نتخلص منهم ونبحث عن قصر سريانو اللعين .

فقال المدعو جعفر : ولماذا تريدون التخلص من سريانو ؟

فقال دعسان : قالوا لنا إنه مجرم عتيد .. خطف أم وأخت الملك ضرغام .. ولم نجدهم في هذا القصر كما قيل لنا .. وهل يفعل ذلك الأمراء؟!

فعاد محسن يقول بحدة وغضب: اقتل الجميع .

فصاحت المرأة : لا تفعلوا أنا أميرة وأبي ملك ؟

قال الدعسان متظاهرا بالدهشة: أبوك ملك ! أي ملك والدك ؟

ـ أنا ابنة الملك حس غاب أتعرفونه ؟

فقال محسن بدهشة صادقة : ابنة ملك مدينة تتان! وماذا تفعلين في هذا القصر السري ؟.. هل يعقل أنك ابنة ملك وتعيشين عشيقة وخدن كما يبدو لنا ؟!

صاحت : أقسم لكم إنني ابنة الملك حسن غاب واسمي درة .. فابعث رجالك ليتأكدوا من ذلك .

فقال الدعسان : وهذا زوجك ؟

فقالت : ليس زوجي .. هو خطفني فخضعت له .. أنا مخطوفة !

ـ إذن هذا الأمير جعفر يخطف بنات الملوك .. وزوجك ؟

ـ قتلوه .

ـ ومن جعفر هذا ؟

فصاح جعفر : أنا جعفر ، ولا تصدق ما تحدثت به هذه الغانية .. صحيح هي ابنة ملك وهي عشيقة لي .. هربت إليّ لأنها تبغض زوجها.. لم اخطفها لا هي ولا أخت الملك ضرغام ولا أمه وأنا أمير من بلاد الملك دغفل بن شجاع واسمي جعفر بن سعد ، والملقب بسريانو الذي تبحثون عنه

فقال محسن : جميل أيها الأمير! .. وأنا الأمير محسن ابن المرأة المريضة التي خطفتها ، وشقيق المرأة التي خطفتها، وقريب أهل القرية التي أسأت لها .

فقال الدعسان : أنت سريانو الشيطان .. الذي خطط ودبر لقتل الملك مطر .. وأنت الذي خطف الأميرة نهيلة شقيقة عشيقتك هذه .. لتستدرج الملك ضرغام إلى وادي السبع ؟

ـ نعم ، فعلت هذا وغيره .

ـ شجاع ! .. وهي التي ترتب لك الأمور من قصر الملك ؟

ـ نعم ، وإلا لماذا أقنعت الملك بالزواج منها ؟

ـ أين أخفيت ضحاياك ؟ فتشنا المكان ، ولم نجد أحدا سوى أنت وهؤلاء ؟

ـ حياتي بحياتهم .

ـ ألا تريد أن تذكر أين أخفيتهم ؟

ـ ولماذا أقول ؟!

فقال الأمير محسن : وأنت أيتها الأميرة ألا تعرفين أين أخفى ضحاياه ؟ أم قتلهم السفاح ؟

صاح سريانو : لم اقتلهم بعد .. إنهم أحياء ، حياة بحياة .. فإذا قُتلت فسيُقتلون

التفت محسن للأسرى الآخرين وقال : من منكم يعرف مكان إخفائهم ؟

صمتوا .. فالتفت الأمير بغضب إلى الدعسان وقال : اقتلوهم ، فبطن الأرض خير لهم ..

فقال الدعسان : والمرأة ؟

ـ لا ، المرأة لا ، سنعيدها للملك حسن غاب ، ونرى صدق ادعائها .

قدم سريانو للموت وقال بتحد : لن تعرف مكانهم ، وستكون أنت القاتل لهم .

ضحك محسن وقال : كما عرفنا مكانك سأعرف مكانهم .. وما دام لن يخرج أحد منكم من هنا حيا ، فلن يقتلوهم ، وسأضع فرساني في أول الشعب وكل من يدخله يهلك .

ـ العفو أيها الأمير!

ـ لم يبق في قلبي بعد غدرك بأهل القرية المسالمة مكان للعفو

وأشار الدعسان لرجاله بتنفيذ الأمر .



سفح رجال الدعسان دماء الذكور ودفنوهم في تلك الغابة ، وأخذوا رأس سريانو معهم ، واستولوا على الأموال الذهبية والدواب ، وأمرهم الدعسان بعد تشاوره مع الأمير بتفريقها على فقراء مدينة دغفل ، فلما خرجوا من الغابات ، وصاروا في درب القوافل والمشاة المطروقة ، قال الأمير للمرأة : أيتها الأميرة ألا تعرفين مكان الأسرى ؟

فقالت مرعوبة : مولاي الأمير الرجال الذين سفكتم دماءهم لا يعرفون ، فكيف أعرف أنا ؟ سرياني أخبث رجل في العالم ..

ـ أتحبين العودة إلى والدك الملك ؟

ـ لا أحب ذلك، سوف يقتلونني لأنهم اتهموني بقتل زوجي .

ـ أو لم تعيني على قتل زوجك؟.. فجريمتك واضحة.. وإلا لما لحقت بسريانو في هذا القصر الخفي .. رأيت جزعك وأنت ترين تطاير الرؤوس.. إلى أين تحبين أن نأخذك ؟

ـ إلى الأميرة نهيلة .

ـ الأميرة نهيلة بنت حسن غاب عليّ مقابلتها لعلها مطلعة على سر سريانو سأعفو عنك أيها

الأميرة درة .. وذلك بعد مقابلتك لأختك زوجة الملك .

ـ لعلك تعفو عني ، وتدعني أذهب لأي مكان بنفسي .. أنا سأذهب إليها مكرهة .. لأنها كانت السبب في زواجي من ذلك الأمير المقتول .. وكانت تعلم أنه زير نساء .. فلما التقيت بسريانو في قصرها قبل زواجها حدثته بحكايتي.. فأمر رجاله باغتيال زوجي وإرسالي إلى قصره السري.. وأعتقد أن القصر كان عش عشق لأحد الأمراء ، وقتله سريانو في تاريخه الحافل بالإجرام والمغامرات، واحتل مكانه .. ولما استقر فيه اتخذني خليلة، وخضعت له ليس أمامي إلا الرضا، وقد قبلت بقتل زوجي.. فهو رجل قُد قلبه من الحجر.. لا رحمة ولا شفقة لا تظن أنني حزنت على قتله.. ربما سر فؤادي .. فهو الشر مجسم في بدنه وروحه .. وأخشى أيها الأمير أن يكون قد تخلص من أهلك .

ـ لا ، لم يفعل أيتها الأميرة.. كانت بينه وبين الملك ضرغام مراسلات لإنهاء الخطف والكف عن مطاردته والنيل منه، فهو الذي قتل الملك مطر والد ملكنا .. فكان لابد من قتله لنعيش بسلام وراحة بال .. ستمكثين معنا ريثما نقابل الأميرة نهيلة ثم ندع لك حريتك وتذهبين إلى حيث شئت .. نحن لا نقتل النساء إلا اضطرارا أو خطأ .. فأختك تآمرت علينا .

ـ أختي لم تتآمر عليكم، إنها مكرهة ومستغلة من الأمير سرياني ..

ـ هذا ما نراه نحوها .. لكن لابد من الحديث معها .. لعلها تعلم مكان المخطوفين من أهلنا .

قالت : لا يسلم سريانو سره لأحد .. خاصة النساء .. فهو من الدهاة ..

ـ كان الرسل يمرون عليها ويخرجون من قصرها .

ـ الخدم الذين معها كلهم عيون لسرياني.. وأحدهم من أكبر أعوان الأمير .. ومن أخطرهم.. أنا لا أحبها هي التي ورطتني بجريمة القتل.. أنا قلت لها إني أبغض زوجي .. فقال لها ولي سريانو " اعتبري نفسك حرة .. وأرملة " ظننته مازحا، ولما جاء رجاله لأخذي ، أدركت أنه قتله، وليس أمامي إلا الهرب فكل أهل المدينة يعلمون كرهي لزوجي .. وأبي يرفض طلاقي منه ..

استيقظ أهل مدينة قدم الغزال على رأس سريانو مرفوعا على رمح أمام أحد أبواب المدينة ، وتجمع الناس فرادى وزرافات وحلقات يتفرجون على رأس الرجل الذي كان يرعب أهل البلدة والأمراء والوزراء والقضاة والسوقة ، وانتشر الخبر خلال سويعات في جميع المدينة وقراها.. وزعم بعضهم أن هذا الرأس ليس لسريانو .. وأن مكيدة تحاك وتدبر في المدينة، عند العصر دخل الأمير محسن ومعه الدعسان على الملك دغفل وحاشيته يعلمونهم أنهم تمكنوا من قتل جعفر بن سعد الملقب بسريانو.. وأعلمهم أن الرجل قد خطف أمه وأخته وبعض أهل القرية ، وأعطاه الخطاب الذي أرسله للملك ضرغام يساوم عليهم.. فدافع الملك ومن حوله عن نفسه وأنفسهم أن لا علم له بهذه الجريمة الأخيرة لسريانو.. وأنه يعمل وحده.. فذكر له الأمير تعاون امرأته الأميرة نهيلة وحاشيتها معه ، وأن المراسلات كانت تمر من داخل القصر.. فلما حاول الإنكار والتنصل احضروا الرسول الجريح ، واعترف الرجل أنه رسول سرياني للملك ضرغام، وأنه أحد رجاله ويعمل في قصر الأميرة .. وأن الملكة فقد كانت تساعدهم بتوفير المكان لهم ، وتسمح لهم بدخول القصر والاجتماع مع سيد خدمها، وهو أحد المقربين من سريانو .. وأنكرت الأميرة علاقتها بسريانو أمام القاضي.. ولما اعلموها بمصرعه على يد رجال مدينة الرعاد.. قالت " هو فقط ساعدني بالزواج من الملك .. لأنه أفسد عليّ زواجي من الملك ضرغام .. سعى لاستغلال ذلك الزواج لاستدراج الملك ضرغام لوادي السبع .. ولم يكن أمامي إلا الموافقة على شروطه .. فكلكم تعرفون قوة وخطر سريانو منذ عهد الملك الراحل شجاع.. قال " فليمض الزواج كما اتفقت مع أسياد مدينة الرعاد .. ثم رتب خطفي إلى وادي السبع .. ماذا أفعل أيها القاضي؟ .. لقد قتل زوج أختي درة لمجرد أن شكوت له أن أختي تبغض زوجها فقتله .. وطلب مني بعد زواجي من الملك أن أسمح لرجاله بالبقاء حولي .. وها هو كبير خدمي عبد له فاسألوه "

فلما لم يظفر الأمير محسن بشيء عن مكان إخفاء أهل القرية غادر قصر السلطان، واجتمع برجال الدعسان فقال بعضهم " سمعنا من بعض رجاله قبل قتلهم يخبرون أنه أخفاهم في

إحدى القرى "

أمر الأمير بإنزال رأس سريانو وحمله لمدينة الرعاد والملك ضرغام ، وانتدب الدعسان أحد رجاله لأداء المهمة .

وأما الملك دغفل فقد استاء من أفعال الأميرة نهيلة ، وتعاونها مع الأمير سريانو بالتجسس عليهم ، فقالت له برجاء : كان يزعم لي يا مولاي أنه ينتقم لدم أبيك .. فسايرته .

ـ كذاب ، إنه ينتقم لنفسه .. هو الذي ساعد الأمير طل في قتل شقيقه الملك مطر والد الملك ضرغام .. لقد كانت كارثة عظيمة ومروعة ، وقد قتلوه غدرا وغيلة على غدير الدم .. فاضطر أبي في الاستمرار في الحكاية معهم.. ولما ضاق الناس من الملك طل أزاحه وأرسل حاكما منا ليحكم البلاد.. ونحن اليوم ندفع ثمن تلك العداوات والحروب .. وأعلن أمامكم جميعا أنني تزوجت هذه المرأة خوفا من سريانو اللعين .. زعم لي أنك أفضل وأجمل النساء .. أجبرني على الزواج منك .. وأنا أخافه وأرتعب منه منذ أيام أبي الذي سلطه على رقابنا.. وأنا سعيد بموته أيها الرجال .. والآن أنا أصبحت ملكا حرا لكم أيها الأسياد .. وأعلم أن الكثير منكم يشاطرني هذا الإحساس .. وأول الأعمال بعد أن حررت .. اشهدوا بأني طلقت هذه الأميرة فالحقي بأهلك .



النصر

استدعى الملك دغفل الأمير محسنا لمقابلته وذلك بعدما طلق زوجته نهيلة، وأمرها بمغادرة البلاد ، ولما دخل الأمير القصر يصحبه الدعسان وبعض حرسهم اعترضه شخص محاولا اغتياله ، فأمسكه رجال الأمير بسرعة الريح ، وحالوا بينه وبين تحقيق مأربه ، وأمر الأمير الرجال بأخذه لمحبسهم؛ ليسمع إلى دوافعه إلى هذا الاغتيال .

استقبل الملك الأمير، واعتذر له عن الإساءة التي أصابتهم من زوجته، وأعلمه بأنه سرحها إلى أهلها ،وهي تستعد للرحيل.. فذكر له الأمير الحادث الجديد ، فاستغرب الملك لهذا الاعتداء وأسف له وقال معتذرا ومبررا : الرجل أيها الأمير لم يكن سهلا .. فهو لم يكن صديقا لي .. إنها عار ورثته عن أبي ..

فقال الأمير : أنا أسلم بها تقول ..

ـ أتعلم لماذا دعوتك اليوم ؟

ـ لا .

ـ طلبتك لأعرض عليك أن تكون زوجا لإحدى بناتي؛ لتثق أنني صديق لكم ومحب كذلك.. وإنني لست متواطئا مع أحد ضدكم .. نحن نريد السلام .

وكان من عاداتهم لإظهار السلام بينهم أن يتزوج الرجل القاتل في الحروب زوجة القتيل أو أخته أو ابنته لبيان الرضا والإقرار بالهزيمة، وأن الحرب خطب مؤقت والسلام هو الدائم .. لذلك قبل الأمير هذه الخطوة وقرنها بموافقة الملك ضرغام عليها ، وقدم الشكر للملك على شجاعته بهذه الخطوة الجريئة .

ولما جلسوا في بيتهم قال الأمير : الخوف من سريانو أخذ يزول من نفوس القوم والملك .. كان اللعين مرعبا لهم ..

ـ لقد كان سيف الملك المقتول .. ألا تريد أن تسمع لأسيرك؟ .. فهو ابن لسرياني

أظهر عجبه الأمير وقال: أوه !! أراد أن ينتقم لأبيه .. هاته

جلب الأسير للمثول بين يدي الأمير محسن ، ولما تقابلت العيون قال الأمير: أتريد أن تعدم الحياة كأبيك الخائن يا ملعون ؟

ـ لم يعد للحياة طعم بوجودك أيها الشقي .

ـ أنا شقي ! من بدأ الظلم أيها اللعين ؟ .. أنحن ذهبنا لغدير الدم وغدرنا بالملك مطر ؟!.. أنحن أشعلنا نار الحرب بين البلاد يا غادر؟! .. هل اعتدى عليكم الملك مطر وقتل رجالكم وسبى نساءكم ؟!.. نحن سيوف العدالة والقصاص يا غادر .. نحن ولدنا لننتقم لهم .. وليدور الزمان دورته .. ألم يخطف والدك الشرير أمي وأختي وأهل قريتي أم تزعم أنك لا تدري؟ .. أبوك اتخذ السلطة والحكم للعب والقتل للأحرار والعيث فسادا بالبلاد والعباد .. لم يتخذ السلطة والحكم للعدل والمساواة بين الناس ، وأنت هربت عندما أسرنا أباك أو قتلناه .. هل تحب العفو أم تفضل الموت ؟

ـ سأقتلك .

ـ ستقتلني يعني أنك لا تريد السلام والعفو .. أتريد أن تبقى مجرما مثل أبيك ؟.. ضعوه في السجن حتى يموت جوعا .. لا أريد أن أغمس يدي بدمه النجس ..

ساقوه إلى غرفة في البيت تستخدم كسجن صغير .. وبعد يومين من مكابدة الجوع طلب العفو والصفح ، فأمر الأمير بإدخاله عليه ثانية، فهجم مقبلا لقدمي الأمير ويقول : العفو أيها الأمير .. أحسن إليّ

قال الأمير : ضعفت سريعا أيها الثائر .. دعك من الكلام الأكبر منك .. أنا عندما أعود لمليكي بعد عودة أسرتي التي سرقها أبوك سأعفو عن أهلك وأمك بينهم .. وسأتزوج ابنة الملك .. التي قتلت جدها على غدير الماء انتقاما لمقتل الملك مطر .. الملك دغفل سيزوجني ابنته لتذهب الأحقاد والثارات .. أرأيت المسامحة ؟ .

قدموا له طعاما، ولما أكل وشبع قال : أيها الأمير ، وأنا سأدلك على أهلك أمك وأختك .

ـ أنت ؟!

ـ نعم ، أنا يا مولاي ! أنا كنت الحارس عليهن ، ولما علمت بمقتل أبي جئت لأنتقم منك .. ولكني أدرك الساعة أني مخطئ .. ما كان على أبي خطفهم ، كان عليه أن يرضى بما رضيه أهل المدينة وسادتها .

ـ هذا هو الكلام الجميل.. يا أمير زيد .. ستقابل الملك، وتعترف أمامه بأنك أسأت لنا، وتطلب منه العفو ؛ ليحفظ لك هذا المعروف .

وبينما الأمير محسن يجلس بين فرسانه في مدينة قدم الغزال دخل عليهم رسول من بلادهم ، فلما رأى الأمير هتف والجزع باد على محياه: مولاي الأمير! السلطان يدعوك للعودة عاجلا لا آجلا .. في اللحظة التي أكون بين يديك عليك أن تعود.

جزع الأمير والدعسان للخطب وقال الأمير : الِشأن خطير! .. ما الأمر لقد وهنت قلوبنا .. أأصاب الملك مكروه ؟!

بكى الرسول وقال من بين دموعه : حياة الملك في خطر .. يا مولاي الأمير .. أصيب الملك وأرسلني الوزير زويد المقداد لترحل على أسرع جواد .. عندما كانت المدينة تحتفل بموت سريانو تعرض الملك للسعة حية سامة .

ـ كيف ؟!

ـ كان يا مولاي.. كان يتجول في حدائق القصر الجديد.. وهو في أحدها دعس بقدمه على ثعبان قاتل .. فلسعه في ساقه .. وعجز الأطباء عن معالجته وتوفير الترياق المفيد .. وهو يحتاجك خلال وقت قصير .

كانوا يخرجون من المدينة إلى بلاد الملك الرعاد ، وقد رافقهم بعض الرجال ، وأمر جود بزيارة القصر وإخبار الملك بسفرهم العارض .. والذهاب مع الأمير زيد لإحضار والدة الأمير وشقيقته..

ولما وصل الأمير القصر الجديد في القلعة كان الملك ضرغام يكابد الألم والموت ، فلما رأى الأمير تهلل على وجهه الابتسام والفرح وقال : الحمد لله أنني رأيتك في ساعاتي الأخيرة ..

وقبل أن تخرج الروح لبارئها .. إنها أيام قاتلة .. ولعل أدوية الحكماء هي التي أخرت مفعول السم ..

عانق الأمير الملك ، وبكى على صدره ، وفعل الدعسان مثله وقال الملك : أخي محسن .. صديق العمر .. أوصيت لك بالملك ، حتى يكبر ابن أخيك عمرو ويصبح في مقام الرجل .. فتجعله وريثا للعرش عرش الآباء والأجداد .. وسلم لي على أمي الحبيبة ، وأختي سيرة ، وأحفظ حقهما وشأنهما يا أخي الشجاع .

ـ إنهم في الطريق إلينا يا مولاي .. وأنا أعاهدك على الوفاء بما عهدت إليّ .. وأن يكون عمرو ملكا على البلاد .

ثم بعد حين شهق الملك شهقة الموت، وخرجت الروح السر الإلهي لبارئها إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء .

وأجهش الأمير والحاضرون بالبكاء والشهيق والزفير والدعاء بالمغفرة والرحمة على روح الملك ضرغام .. وغرق القصر بالبكاء والدموع .. وانتقلت الدموع والحزن لأهل المدينة .. صغارا وكبارا ذكورا وإناثا .. فالكل يعتقد أنه فقد رجلا شجاعا بطلا ، حررهم من نير الظلم والاستعباد ، ورفع رؤوسهم إلى السماء .. الكل حزين يبكي ويدعو للشاب الشجاع بالرحمة والسلام ..

تقدم الأمير بعدما تمالك حزنه وهمه من أم الملك الأميرة سيرة وعزاها بولدها الملك ، وشاركها الحزن والنشيج.. فقبلته من رأسه.. وقالت : إنك نعم الأخ والصديق يا ولدي.. وأعاد الله لك أمك وأختك وأهلك بسلام .. وسرني ما سمعتك تقوله أمام الملك من عودتها وقدم الدعسان والأمراء العزاء لأم الملك .

وقبل الأمراء جبين الملك الميت ، وتركوا أمه والنساء يدخلن عليه، وخرج الوزير مقداد لإعلان وفاة الملك على الملأ الذين كانوا يعرفون ذلك قبل إشهاره .. وانتقل السادة إلى ديوان الحكم .

وفي اليوم التالي سمح الأمير محسن للعامة بالدخول إلى حجرة الميت لإلقاء نظرة إليه والدعاء له والصلاة عليه .. وعصر اليوم وبعد غسله والصلاة عليه دفن في مقابر أجداده وأسرته .

وغمر الحزن المدينة فهم لم ينسوا شجاعته وكرمه وحبه لهم ، لم ينسوا إنقاذه لهم من نير شاقور وشجاع .. كانت سنوات قليلة .. ست سنوات غمرهم فيها الإحسان والعدل والسلام ..

والتقى محسن بعد أيام بقيم القصر، واستوضحه قصة الأفعى القاتلة ، وكيف استقرت في حدائق القصر وبساتينه ، فقال القيم : العمل كما تعلم أيها الملك لم ينته كليا في القلعة.. فالملك ضرغام ـ رحمه الله ـ كان متعجلا للحياة في هذا البناء الشامخ .. وجهز قصره قبل كل شيء .. وانتقل إليه مع الحرس ، وأصبح المكان مقر الحكم وديوان الحكم .. والحدائق لم تجهز بشكل دائم .. وقصر سيادتكم ما زال العمل جار فيه .. ومباني الخدم والحرس كذلك .. فلا أعتقد أن أحدا أدخلها القصر .. ولماذا قرصت الملك دون غيره ؟! .. لو وجدت في غرفته في قصره ربما قلنا إنها مدسوسة ومقصودة .. فالخدم والجند يتمشون في أرض القصر .

ـ معك حق .. القضاء والقدر الذي حكم .

ـ أجل يا مولاي الملك إنما هو الأجل !

لما بايع الأمراء الأمير محسنا ملكا تنفيذا لوصية الملك الأخيرة أبقى الوزير مقدادا زوج أم الملك مكانه وزيرا على البلاد، والقائد فوزان قائدا للجيش، وجعل الدعسان مقدم الحرس الملكي.

ثم استقبل أمه وأخته وأهل القرية المحررين من خطف سريانو، وعلم أن زوج أمه سهام مات في الأسر ، فعزى أمه بزوجها ، وعزاها بموت ابنها الملك.

ومشت أمه وشقيقته سيرة لقصر الأميرة سيرة ، وقدمتا لها العزاء بوفاة ابنها الملك ، وبكوا الملك الميت من جديد ، وقالت الأميرة : مصابنا واحد، فأنت أمه التي أرضعته وحضنته سنوات عمره، وعاش عندك أكثر مما عاش عندي .. وأنا مدينة لك بكل الفضل..

واحتضنت سيرة الباكية على أخيها الملك " تعالي يا حبيبتي .. كان أبوك وفيا لنا .. وسماك على اسمي .. يا مرحبا بكم جميعا "

ولما جلسن قالت الأميرة الأم : رحم الله العم جديا ..إن البلاد تسعد بوجودكم فيها ..أرجو أن تبقوا معنا .. فمحسن اليوم ملك البلاد وسيدها.. كان الملك يحبه كثيرا يا أم محسن .

ذرفت الأم وابنتها الدمع على روح الملك، وتقبلت عزاء الملكة سيرة بوفاة زوجها سهام .. ثم زاروا قبر الملك ، وترحموا عليه ، والسلام عليه وعلى أموات الأسرة المالكة .

ووهبتهما سيرة قصرا مهجورا بعد أن كمل تنظيفه وتجميله، ولما جهز رحلت إليه أم الملك وولداها اللذان ولدتهما من سهام.. وسكنت سيرة وأسرتها في نفس القصر.. وشجع الملك أهل قريته الناجين من أسر سريانو بالمجيء بأهليهم والحياة في مدينة الملك ، فوعدوا بالتفكير في ذلك.

ولما انتهى الحداد على سيد البلاد الراحل ، كشف الملك للوزير حكاية زواجه من بنت الملك دغفل.. فسر الوزير من هذه الخطوة، وشجع الملك على الوفاء بها .. وقال : لو كان الملك حيا لبارك فيها .

ورحبت سيرة أيضا بهذا الزواج .. لذلك أخذت الوفود تتحرك بين المدينتين، ولما عقد الكتاب أمام القضاء احتفلت المدينتين بالزواج .. ورحلت الأميرة شفق إلى مدينة زوجها الملك محسن.. حيث كانت تحتفل المدينة بتتويج محسن ملكا .. واكتمل التتويج بزواج الملك .

وسيرة الملك معروفة لأهل المدينة .. فهو الذي انتقم لموت الملك مطر، وشارك في حرب التحرير.. وأسر سعدانوا .. وسريانو .. فهو البطل الشجاع .. الفارس المقدم على الفرسان ، وهو ملك البلاد .

ورأى الناس أن هذا الزواج قد أنهى العداوة والبغضاء بين المدينتين.. وأمر الملك بمناسبة هذا الزواج العفو عن الرهائن ، ومن بقي حيا من أسرى المعارك .. واتبع الوزير بهذه المصاهرة قرارا بوقف أخذ الأموال من بلاد قدم الغزال .

وقدم الملك دغفل بشخصه ووفد كبير لتهنئة الملك محسن بتتويجه ملكا لبلاد الرعاد ، والتهنئة بزواجه من ابنته شفق ، وإعلان عودة السلام والصفاء بين البلدين.. وتأكيد عدم تدخل أي

بلد في شأن البلد الآخر.. والاتفاق على حل العقد والصراعات بالعقل وحده دون العاطفة .

كانت عروس الملك شابة صغيرة نالت قسطا من العلم ، فوجدت قبولا لدى نساء البلاط الملكي.. وأحبتها الملكة سيرة .. وأم الملك جديلة وأخته سيرة .. والكل تجاوز المآسي.. فهم جميعهم بين قاتل ومقتول .. فعليهم نسيان التاريخ الأسود .. وكمل فرحهم بولادة الأميرة لمولودها الأول ، وكانت أنثى فسماها الملك سيرة لبيان حبه لوالدة صديقه ضرغام .. وكلنا يذكر أن لمحسن ولدا من إحدى جواري الملكة سيرة سماه عطية .

وبعد حين يسير من ولادة شفق مرضت أم الملك مرضا منهيا حياتها بعد انقضاء الأجل المقدر من رب الحياة والموت.. ولم ينفع الدواء ولا الطب في إنقاذها من ساعة الموت .. وقامت لها جنازة تليق بالملك الشاب ، وسمح الأسياد من أسرة الملك ضرغام بدفنها بمقابرهم الخاصة ، فهم يعتبرونها أما للملك ضرغام .

وكان الملك قد وعدها وهي على فراش الموت برعاية ولديها من العبد سهام، فهم إخوته ، وسيهتم بهم الاهتمام اللائق بإخوة الملك ، فماتت قريرة العين تدعو له بالسلام والحياة السعيدة

واستمر الملك على خطى أخيه الملك ضرغام بتحديث المدينة وتوسيعها وتشجيع الصناع للبقاء والمقام فيها.. ويشجع أهل القرى على الزراعة والاعتناء بالمواشي والأنعام .. واهتم أيضا بتوفير الأمان والحماية للتجار والقوافل ، وكان لا يتهاون مع اللصوص وقطاع الطرق وضبط الأمن والطرقات .. وفي عهده بدأت المدينة تكبر وتتسع .. وينتشر البناء خارج أسوار المدينة القديمة .. وامتد إلى القلعة التي اتخذها ضرغام مقرا للحكم ، وصدق ما توقعه الملك الراحل والوزير مقداد .

وبينما الملك في مصلاه يصلي الفجر دخل عليه أمير الحرس الملكي الدعسان هامسا في أذنه أن والد الأميرة شفق قد اغتيل في بلاده .

فصدم الملك للخبر فقال الدعسان : هذا ما نقله لنا رجال الخفية من بلاد قدم الغزال .

وبعد أيام جاء بريد للملك فيه نعي الملك دغفل ، ورسالة عزاء للأميرة شفق.

قتل الملك دغفل

طلبت الأميرة شفق من الملك الذهاب لزيارة مدينة أهلها والتعزية في أبيها المقتول .. فجهز لها الملك عربة ملكية وطائفة من الجند والحرس تصحبها في تلك الرحلة ، وأتبعهم الدعسان بفوج من أعوانه لمراقبة ومتابعة القافلة.. ولمعرفة ملابسات الجريمة ، وصحبت الأميرة ابنتها الرضيعة معها ، ورافقها الملك لأطراف المدينة .

ولما قفل عائدا قال للدعسان : ألا تعلم تفاصيل القتل أيها القائد ؟

ـ سيصل قريبا تفاصيل مفصلة .. فنحن كما تعلم منذ قضينا على اللعين سريانو لم يبق إلا العدد اليسير من رجالنا .. ربما ثلاثة أو أربعة .. فقد ضعف العداء بيننا كما تعلم .. إنما بقي هؤلاء من باب الحذر.. فهم أصهار الملك .. ـ وابتسم وابتسم له الملك ـ .. وأيضا أولئك الأعوان يهتمون بالأحداث الجسام، ولابد أن أخبارا مفصلة سترد .. فقد طلبت من الرجل الذي نقل لي الخبر .. معرفة أسرار الحادث .. الحادث كان مفاجأة للجميع بعد عموم السلام بيننا.

وصل صاحب الخبر بعد أيام من هذا الحديث .. فاغتيال ملك ليس كاغتيال رجل من العامة فالملك محاط بالحرس والحماية .. والعامي غير محاط بحماية .. قرأ الدعسان الرسالة ثم أطلع عليها الملك.. وعجب الملك منها ، فقد كان الجاني الأمير زيد بن جعفر المعروف بسريانو .. فقد عرف جيدا صاحب هذا الاسم ، فقد حاول اغتياله ، ثم عفى عنه بعد حبسه عدة أيام .. وفهم من الرسالة أن الملك نفاه خارج المدينة ؛ لأنه سعى لأحياء نشاط والده ، وإظهار نفسه بالفارس القوي كأبيه.. مما أدى لغضب وسخطة الملك عليه.. ورفض الملك والوزير ظهور سريانو جديدا.. ويبدو من الخطاب أنه نفي لمدينة تتان حيث الملك حسن غاب والأميرة نهيلة طليقة الملك.. وأن الأميرة المطلقة التقت به أثناء وجوده في بلادها ، وشجعته على الانتقام وقتل الملك دغفل لأن اسمها تردد على لسانه كثيرا أثناء فترة الاعتقال ، واعترف بالمؤامرة الكبيرة على حياة الملك .. فقد استغلوا طرده ونفيه فهيجوه على الجريمة والقتل.. وذكر مرسل

الخطاب أن الأميرة وعدته بالزواج منها إذا نجا من الجريمة.. وهي منذ تركها الملك بغير زوج زاد فسادها في البلاد ، وكثرت حفلاتها ومجونها.. فلما تعرفت عليه وعلى قصة نفيه.. رحبت به في مجالسها وحفلاتها، وطمع بنكاحها فاشترطت عليه الانتقام لها ولنفسه.. فتسلل للمدينة متنكرا ، واستطاع إقناع بعض أتباع والده الذين عادوا للبلاد بعد مصاهرة الملك للملك محسن بمساعدته للوصول للملك ، والتآمر معه لكرههم للملك الذي همشهم في حياة البلاط ومنع أعطياتهم .. ونقموا على الملك ظاهرا لتزويجه ابنته للملك محسن .. ورأوا ذلك عارا واستسلاما كاملا .. فصنعوا كمينا للملك في أحد قصوره، وطعنه زيد الطعنة القاتلة.. أمسك به الحرس ومعه رفيق له فور الحادث الغادر .. وأمام سيف الجلاد كشف كل الحقائق والكيد .. وفي الرسالة أن رجال الملك يطلبون الأميرة نهيلة التي اختفت من مدينتها .. ووافق الملك حسن غاب أمام الحقائق على حبسها دون قتلها .. والأمور تسير للأسوأ بين المدينتين ، وقد تثار الحرب بينهم .

ولما رجعت الزوجة شفق من بلادها قصت على الملك نفس الكلام الذي جاء برسالة صاحب الخبر ، وتظاهر الملك أنه يسمع الكلام لأول مرة .. والجديد الذي أضافته الأميرة أنهم اعدموا زيدا وجميع رفاقه الذين قبض عليهم في المدينة الحياة.. ونفوا ذريته من المدينة .. وهم يطاردون الأميرة الجانية الهاربة .. فهي المحرضة الحقيقية للقاتل المجرم ابن سريانو .

فقال الملك " هل مات سريانو الآن ؟ "

فقالت " الله أعلم يا مولاي الملك! "



نصب الأمير زاهر ابن الملك دغفل ملكا مكان أبيه على بلاد قدم الغزال ، ولما انتهى الحداد المعلن دعي الملوك والأمراء للمشاركة في حفل تتويجه ملكا جديدا على المدينة .. وكان يلقب

الشاب بزاهر الراهب .. فقد كان هذا الفتى معروفا في بلاده من العباد .. فهو لا يشرب الخمر، ولم يتزوج مع أنه الابن البكر لأبيه ..

وجاءت رسالة للملك محسن تدعوه لزيارة البلاد والمشاركة بحفل تتويج الملك زاهر الراهب.. وتطلب منه شخصيا المساعدة في البحث عن الأميرة الهاربة ليستقر الهدوء والسلام في البلاد .. فأهله غاضبون على الملك حسن الغاب .

فضحك الملك وهو يتلقى هذا الطلب وقال للدعسان : ما رأيك ؟

فقال الدعسان : قد تكون مختفية في ذلك القصر في تلك الغابات التي تذكرها يا مولاي .

ـ ممكن

ـ سأرسل بعض الأعوان دون علمهم لذلك الوكر الخفي.. ما دامت لها علاقات برجال سريانو أظن أنهم يعرفون ذلك المكان الخفي، وهو نعم المخبأ .

ـ ولا تنسى أن أختها درة عاشت فيه مع عشيقها سريانو .

ـ صدقت أيها الملك الآن زادت ثقتي أنها تختفي فيه .. أترى أن لأختها سعي في قتل من كان زوج أختها ؟

ـ إذن انتقام !

ـ قد يكون ، فقد كانت الأميرة درة تحقد على أختها لدورها في قتل زوجها زير النساء .

ـ إنها بعيدة عن الحكم والسلطان، ومتهمة بقتل زوجها .. ربما شملها عفو وشفاعة من أهل القتيل .

بعث الدعسان مجموعة من رجاله الذين شاركوا معه في القبض على سريانو لذلك المكان الخفي ، وكتب كاتب الملك رسالة للملك زاهر الدين يعلمه فيها القبول بمهمة البحث عن الأميرة الهاربة لمنع الحرب بين البلدين .

استقبل الملك القائد جودا ورجاله كلهم ، وقرأ رسالة الملك محسن على رؤوس الأشهاد الذين سروا لتدخل الملك محسن في النزاع القائم بين المدينتين ، وأثنى الملك على زوج أخته الثناء

الحسن ، وشرح لهم القصة والمؤامرة .

وأسكنهم في جناح قصره ليستريحوا من وعثاء السفر عدة أيام ، فشكروه على اهتمامه .

وهم بعد استراحتهم قد طلبوا من الملك مجموعة من الفرسان يثق بهم، فطلب من قائد الشرطة تحقيق رغبتهم.. فأمن له الرجل عشرة فرسان يقودهم شاب من أشقاء الملك زاهر ..

وساق القائد جود رجاله ورجال الملك إلى غابات شيخ عسير المعروفة له، فقد خاض في غمارها مغامرة قوية ومثيرة .

وبعد يوم رجع الرجل مخبرا للملك أن القصر مهجور ، لم يجدوا فيه إلا الكلاب ، وهو على ما تركوه عليه قبل سنوات .. وفكروا بالرحيل لمدينة حسن غاب للقيام بمهمة البحث عن الأميرة الهاربة .

وبينما هؤلاء يفكرون بالذهاب لتتان كان الملك محسن في بلاده، ويجلس في ديوانه ، ويعلمه الحاجب أن امرأة من غير أهل المدينة تزعم أنها تعرفه حق المعرفة ، وتريد مقابلته شخصيا ، فنظر الملك باسما لوزيره الشيخ وقال : امرأة غريبة أيها الوزير ترغب برؤيتنا .

فخرج الدعسان لينظر تلك المرأة الساعية لمقابلة الملك في هذا الصباح ، فلما كشفت عن وجهها عرفها الدعسان على الفور، فهي آخر عشيقة لسريانو وشهدت مصرعه درة ابنة الملك حسن الغاب المتهمة بقتل زوجها، فمنذ أيام كانوا في الحديث عنها، وما حل بها بعد تركها في مدينة قدم الغزال .

فقال لها : أتذكرينني ؟

فقالت باسمة : وهل تخفى عليّ أيها القائد الفارس الدعسان .. عسى أن تسمح لي بمقابلة الملك محسن سيد البلاد والعباد.. إني جئته في شفاعة .. وأنا تبت إلى الله ، وعفى عني والدي، وهجرت الرجال ، وأعيش حياة الأرملة ؛ وإنما أختي وقعت في بلية، ولا ينجيها بعد الله إلا الملك الشجاع محسن .. سيد الملوك في هذا الزمان .

ابتسم الدعسان لها وقال: جئت من أجل شقيقتك ودورها في مصرع زوجها الملك دغفل

صهر الملك محسن .

ـ نعم أيها الأمير .

ـ إنها هي التي ورطت الشاب لقتل الملك غيلة .

ـ أتصدق ذاك أيها الأمير ؟ وهل كل امرأة تطلق تقتل زوجها ؟

ـ هي محرضة ؟

ـ وهل كل شخص يحرض على جريمة يفعل ؟.. إنما اتخذ ذلك الكلام والتحريض تبريرا لجنايته .. فهو يريد القتل ؛ لأنه فشل أن يكون زعيما كأبيه .

ـ حسنا أيتها الأميرة .. سيكون لك لقاء مع الملك حسب شهوتك .. والآن تنزلين بيت الأضياف .. هل أمر لك بولوجها ؟

قبلت يده وقالت بحسرة ودموع : تصنع خيرا يا مولاي الأمير .. نحن بنات ملوك وأصبحنا أذلة .. فكيف حالنا عند موت مولانا الملك ؟!

ـ أنتن أخطأتن أيتها الأميرة.. خرجتن عن المألوف في بنات الملوك .. ولم تقرن في بيوتكن كنساء العالمين.. اللعب بالنار يؤدي للهلاك والدماء .. والدكنّ طيب ورجل شيخ.. فأختك الهاربة كانت ترفض الأزواج بحجة أنها فارسة لا تنكح الرجال إلا إذا هزمت .. سفاهة وضعف عقل !

أدخل الأمير الدعسان مقدم الأعوان المرأة على الملك محسن بن جدي ، رحب بها الملك باسما، وأشار لها بالجلوس وابتسم لها من جديد، وهو يقول : سمعت أخبارا طيبة عنك .. قد تبت إلى الله والتزمت الطاعة والعبادة !

اقتربت لتقبل يد الملك فاعتذر لها عن ذلك ، وطلب منها تبقى في مكانها فقالت : نعم يا مولاي الملك ، لقد رأيت ما حل بسريانو الشجاع الكبير .. كانت نهاية لا تعادل الملذات التي حصل عليها عشرات السنين .. غاب عن الحياة بجبروته وكبره .. ندمت وندمت واعتذرت لأبي الشيخ الكبير، وأعلنت توبتي أمامهم وندمي على الموافقة بقتل زوجي على يد رجال

سريانو.. وطلبت منهم القصاص العادل .. فلما رأى أهل زوجي القتيل من تسليم نفسي لهم وندمي عفو عني للملك الشيخ ، ودفع والدي الدية، وخرجت من السجن ، واعتكفت في دار أبي ، وأبتهل إلى الله أن يقبلني، ويغفر لي كل ذنوبي وشهواتي الآثمة .. وأسأله ذلك دائما.

فردد الملك الشاب :آمين .. آمين.. والآن جئت للشفاعة لشقيقتك الأميرة المختفية المتمردة على قانون النساء .

قالت وقد مسحت دموعا سالت على وجنتيها بحضرة الملك : نحن ولدنا يا مولاي وقد بلغ والدنا الملك الخمسين سنة ، ولم تحسن الجواري تربيتنا والعناية بنا العناية الملكية والخاصة بالأميرات.. فتعلقنا بالشهوات وتقليد الشباب .. فصرنا نحضر مجالس الأشرار من الأمراء والأقارب في سن مبكرة.. أنا وإياها من أم واحدة وأصغر ذرية الملك حسن غاب .. فأحبت شقيقتي الفروسية كالرجال والأمراء الشباب ، وتمرست عليها على أيدي أمهر المدربين فأصابها الغرور ، وأعلنت أنها لن تتزوج إلا من يقهرها في العراك والقتال.. صارعها بعض الشباب المتدرب فلم ينالوا منها، فزاد الغرور لديها .. وبدأ الشباب الأمراء يبتعدون عنها رويدا رويدا ، ويفوزون بفتيات صغيرات .. وسعى إليها بعض الفرسان من خارج البلاد .. وكان الملك شجاع بعد موت خالتنا زوجته يرغب بها لبقاء المصاهرة بينه وبين الملك حسن .. ولكنها فازت عليه وصرف نظرا عنها.. تعرفت تلك الأيام على الأمير سريانو حارس الملك القوي .. وأصبحت صديقة للملك ولسريانو .. وكانت جميلة تتحدث البلاد عن جمالها وحسنها .. وعلى أثر موت الملك شجاع .. حاول الأمير سريانو استغلال جمالها في اصطياد الملك ضرغام .. عندما علم أن الملك وافق على الاقتران بها.. وسريانو رجل مرعب وقاتل سفاح يا مولاي .. فما كانت تستطيع أن ترفض له طلبا خاصة عندما أغرته بقتل زوجي .. فأصبحنا في يديه كالعجين .. فسكتت عن خطته بخطفها لاستدراج الملك ضرغام ـ رحمه الله ـ إلى وادي السبع .. ولما فشلت حيلته بجر الملك لوادي السبع والحرب مع الملك دغفل .. أعادها لأبيها .. وأمرها بطلب الطلاق من الملك ضرغام ، ووعدها أن ينكحها للملك دغفل

ليكون خدمها عيونا له في القصر.. هي تمنت أن لا يوافق الملك على الطلاق والسعي لأخذها ، فهي كانت أسيرة لسريانو .. ولكن مولانا الملك أعلن طلاقها ، وتزوجت الملك دغفل للقرابة التي بيننا ولضغط من سريانو الذي ما زال يحكم ويشير في البلاد ولو من قصره الخفي ولما كشفتم مساعدتها لرجل سريانو، وبموت سريانو نفسه طلقها الملك دغفل ، وأرسلها لأبيها الشيخ .. فعادت غاضبة ناقمة مستهترة بالحياة الشريفة.. ورجال المدينة رفضوا الزواج منها وهي شابة صغيرة لما اشتهر عنها من الاسترجال .. فكان لها مجلس شراب وطعام يجتمع إليها الشعراء والمغنون والماجنون .. ولما طرد ابن سريانو من بلاده منفيا لبلادنا فدخل المجلس بعد حين وذكّر الأميرة باسمه وأبيه ، وشكى لها حاله البائسة، وأنه فشل أن يكون كأبيه سيد وزعيم .. وكان جل حديثه عن أبيه وشجاعته ومغامراته وسطوته، ثم تشجع وطلب الاقتران بها .. فكانت لا تريده ، ولا ترغب به زوجا، ولا تريد العودة لمدينة قدم الغزال .. وكانت ما زالت حاقدة على الملك ، وهو مثلها .. فبدأت تعرض بقتل الملك ليثأر لنفسه ولها وشجعته على فعل ذلك بأنها ستقبل منه الزواج إذا نجا من ذلك .. وهي قالت لي " لم أكن أظن أنه سيستطيع فعل ذلك .. فليس له الذكاء والفطنة اللتان كانتا لأبيه .. ولم يكن شجاعا " هي فعلت ذلك لتتخلص منه ، ومن مضايقته .. فهو يسعى للأمجاد، وهو ضعيف ينفذ ما يخطط له فقط .. فلما رأى إصرارها على تحقيق شروطها، وعدها بقتل الملك والانتقام لها ولنفسه .. وغادر البلاد، وهي اعتقدت يا مولاي أنه لن يعود ، سيكشف شأنه ، ويطرح في أحد السجون.. فهم سيمسكون به عندما يدخل المدينة إما فيحبسونه وإما فسينفونه إلى مكان آخر .. لكن اللعين ـ يا مولاي الملك ـ كان لهم أعوان .. والأصح أن لأبيه أعوانا وأنصارا استفادوا من سخطه ونقمته ورغبته في قتل الملك فحمسوه وساعدوه، وسهلوا له هذه الفعلة الشنيعة.. وهناك سخطة عند بعضهم لزواجكم من ابنته الأميرة شفق .. فتنة مناسبة ليعودوا لمراكز حكمهم وفسادهم .. وفي هذا القتل لم يكن للأميرة نهيلة يد يا مولاي ، هم استغلوا تحريضها وتشجيعها .. ولم تشأ الانتقام لطلاقها الذي مضى عليه سنوات .

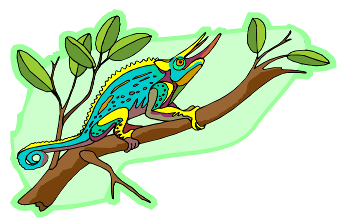
فقال الدعسان لما لزمت الأميرة الصمت وقد طال: وهي أرسلت أختها الأميرة لمعرفتها لنا عند قتلنا لسريانو اللعين ؛ لنشفع لها عند الملك زاهر الراهب .. ولتوضح لهم أن الأميرة لم تشترك في تفاصيل مؤامرة الاغتيال.. وإنما شجعت الرجل للتخلص منه .. وهي تقسم على ذلك .

قالت : نعم يا مولاي .. وهي مستعدة للمثول أمامكم أو أمام الملك زاهر لتقسم على ذلك .

فقال الملك : أرى أن الملك زاهرا إذا عرف هذا الدافع سيعفو عن المرأة .. ومن عادة الملوك العفو عن النساء .. وسيذكر أنها كانت في يوم من الأيام زوجة لأبيه .. سيكتب الكاتب يا أمير دعسان رسالة بهذا المعنى للملك زاهر .. وعليك أن تأخذي شقيقتك لمقابلة الملك ، وتشرحي له دور أختك في مؤامرة اغتيال الملك دغفل .. وستأخذين خطابنا بيدك للملك فإذا قرأ الخطاب واستمع كلامكم وقسمكم وقنع كما اقتنعنا فسيعفون بإذن الله .. والقوم يقدرون صداقتنا يا أميرة درة .. ومسيركم إليهم سيدفعهم ليصدقوكم .

وأهدى إليها الملك هدية ، ولأختها مثلها ، لكل واحدة منهما جوهرة . وغادرت البلاد تحمل رسالة الملك محسن ، وهي تشعر بقرب الفرج عنها ، وعن أختها المطاردة .

وأرسل الدعسان رسالة لرجاله ، ليكفوا عن البحث عن الأميرة الهاربة .



دخل رجل الدعسان جود على الملك زاهر بعد عودتهم من مدينة تتان ، فرحب به الملك ، فأخبر الملك أن الأميرة مختفية في بلادها ، وأعلمه أنها أرسلت شقيقتها الأميرة درة لمقابلة الملك محسن ليتدخل في قضيتها ومصيرها، وتزعم أنها بريئة من المؤامرة ، وهو قابل الأميرة درة في بلدها بعد عودتها من مدينة الرعاد ، ومعها خطاب من الملك محسن، وستمثل أمامه لتبين له دورها في مؤامرة اغتيال والده الملك ليحكم عليها الحكم العادل .

فأثنى الملك على جهده ورجاله خيرا، ورخص لهم بالعودة لبلادهم ، وفعلا جاء الملك حسن غاب ووزيره وابنتاه مع وفد كبير للقاء الملك زاهر الراهب.. واستقبلهم الملك في ديوان الحكم .. وحضر القضاة لسماع أقوال الأميرة نهيلة في تلك الجريمة .. وقرئت رسالة الملك محسن التي يحث فيها على العفو والصفح وأن النساء تغلبهن الشفقة والثورة السريعة .. وقالت أختها : يا مولاي الملك ماذا تستفيد الأميرة من قتل الملك ؟ وكيف سيتحقق الزواج بعد الاغتيال ؟ أليس سيقتل القاتل ؟!

وتقدمت الأميرة تطلب الصفح والعفو من سيد البلاد ، فطلب الملك من القضاة العفو عنها لشفاعة الملك محسن ، وللقضاء على الأحقاد والضغائن، وإعطائها فرصة للندم والتوبة .. ولذكرى زواجها من أبيه في يوم من الأيام .. ولشفاعة والدها الشيخ الكبير ووفد مدينة تتان.

فوافق القضاة على العفو، وأعلنه الملك للملأ والضيوف ، وبين لهم أن الأمير زيدا كان يسعى لقتل أبيه قبل رحيله لبلاد تتان .. وأنه كان يهدد بذلك؛ ولكنهم لم يأخذوا تهديده على محمل الجد ، وأخذ على محمل الغضب والثورة على زواج ابنة الملك للأمير محسن.. فقد رفض هذا الزواج عدد من أهل وأسرة الملك .. ولكن الحكمة والعقل غلبت ، وتم الاقتران والناس الآن سعداء به .

وأقر الملك أن أناسا من أهل المدينة استغلوا ثورته وهيجانه، ودفعوه لارتكاب الجريمة طمعا بالعودة لمواقعهم القيادية في المدينة .

ولما انتهت الأيام الثلاثة ، واستعد الملك حسن غاب للسفر والرحيل فاجأه الملك بطلب يد ابنته درة .. وكان قد أرسل لها كاتم سره يحادثها ذلك، فذكرت له قصة فسادها وتوبتها.. فذكر الرجل ذلك لمولاه وقد أدرك أن الملك أعجب بها وبتدينها ، فلما سمع الملك دورها بقتل زوجها ، وأن سريانو اتخذها خليلة ، وأنها عاقر فقال الملك : اشتهتها نفسي أيها الأمير ! هل تابت حقا كما هو ظاهر عليها ؟

فلما رأى كاتم السر هوى الملك إليها قال : جربها يا مولاي فإذا رأيت منها خلقا سيئا

فاصرفها بسلام .

فسر الملك لهذا الاقتراح ، وعاد إليها كاتم السر معلنا له موافقة الملك على اتخاذها زوجة

فقالت : تكلم مع أبي الشيخ .

تفاجأ الشيخ برغبة الملك ، ولم يكن أمامه إلا القبول حتى قبل مشاورة البنت .

ولما أشهر ذلك، وعد الملك حسن بإرسالها بعد حين زوجة للملك العابد زاهر بن دغفل ..

وهذا كان من أعاجيب الدهر .. ولله في خلقه شؤون .

الملك عمرو

حقيقة أمر النساء والزواج من العجائب في الكون ، يكون الرجل حاقدا حانقا على أنثى ثم تسمع بعد حين أنه نكحها ، يكون الرجل قاتل لأبيها وأهلها فتسمع أنها صارت حليلة له وتلد له .. يتحول الحب لبغض والبغض لحب .

كان من العادات عند الفرسان إذا قتل الرجل خصمه نكح امرأته؛ ليستلسم قومها وتقف الحرب بينهم .. فهم أصبحوا أصهارا للقاتل الفارس .

فأقول لا تعجب من زواج الملك زاهر الراهب من أنثى عرفتم بعض سيرتها ، ولا تعجب من زواج الأمير محسن من ابنة الملك دغفل .

نعود بك أيها القارئ الكريم إلى الملك محسن ذائع الصيت في تلك الأيام الذي لم يحلم يوما ما أن يكون أميرا فارسا ملكا تحتاج إليه الملوك وتقبل حكمه وشفاعته ، هو نفسه كان يستغرب خط سير دنياه . فهو لا يعرف أهل أبيه .

كانت همته في تنشيط المدينة وتوسيعها كبيرة ، فكثرت القوافل إليها، وعمها الأمان والسلام ، وكثرت الخانات والتجار، فزاد عدد سكان المدينة من الوافدين من القرى والبوادي.

وكان الملك مهتما غاية الاهتمام برعاية أطفال الملك ضرغام وأبنائه وأبناء أمه ، وكبر أشقاء الملك ضرغام من جهة الوزير زويد مقداد .

وانتشرت دور العلم في المدينة، وتوافد إليها العلماء والأدباء والشعراء.. وظلت الأمور تسير بسلام وللحياة الفضلى حتى بلغ الأمير عمرو بن الملك ضرغام ثمانية عشر عاما.. فأخذ الملك يحث الوزير على إشهار الأمير عمرو ملكا على البلاد وفاء لوصية الملك الراحل.

التقى الملك بالملكة سيرة ، وعرض عليها غايته، فسرت الملكة من زهده في الحكم ، ومن وفائه لصديقه وأخيه الذي هلك متأثرا بسم أفعى .

اجتمع الوزير مقداد لهذا الأمر برجالات المدينة وسادات البلاد من قضاة وعلماء وحكماء ورؤساء التجار والصناع وأصحاب الحرف .

وجد ترددا من بعضهم بخلع الملك وتنصيب عمرو لأنه ابن جارية كما هو معروف ، وهذا لم يحدث في تاريخ الأسرة المالكة .



فقال الوزير للمترددين : إنه ضرورة تاريخية .. كنا تحت احتلال .. فقد عاش الملك ضرغام خارج البلاد مختفيا .. ووضع الملك محسنا ملكا وقبلنا هذا لاستقرار الملك ، وتقديرا منا لوصية الملك حين الموت .. وكان أبناء الملك صغارا .. والملك ـ رحمه الله ـ لم يتزوج من أميرة فليس له أبناء من حرائر أيها السادة .. والأمير سيتزوج قريبا من ابنة شقيقي الأميرة بهاء .

وقص عليهم سبب تزويجهم للأمير من الجواري تلك الأيام ، لإيجاد الوريث الذكر قبل إظهار الأمير للناس والغدر به.. فعجبوا لهذه الخطة الجريئة ، وأثنوا عليه خير الثناء ، وعلى الملكة الأم وقدروا شجاعتها .

وكان الشائع أن الأمير تزوج الجاريتين قبل اللقاء بأمه وعمه مقداد.. فبعد معرفة هذه الحقائق وافق السادة على اعتلاء الأمير عمرو تاج البلاد .

وأخذ الملك يستعد للانتقال إلى قصر خارج القلعة ، وأمر الوزير بإنشاء قصر جديد يليق بمقام الملك المعتزل.. وكان هناك قصر قيد الإنشاء لأحد الأمراء فاشتراه الوزير من صاحبه وهو ابن خال له .. وأعد ليكون قصرا للملك .

وأخبر الشعب باعتزال الملك محسن كرسي الحكم طواعية ورغبة منه، وظهر الملك أمام العامة في إحدى الساحات الكبيرة ، وبين لهم سبب اعتزاله الملك، وأنه ينفذ وصية أخيه الملك ضرغام ، وتمنى لهم الحياة السعيدة والاستمرار في تقوية الجيش وتنمية البلاد.. وحثهم على السمع والطاعة للملك الجديد ابن ملكهم الثائر ضرغام .

وبكت الناس وهي تسمع الملك محسنا يعلن رغبته بترك الحكم ، وقدروا شجاعته لخلع نفسه ، فترك شهوة الحكم ليست من الأمور السهلة، ولم يسع لتحويل الملك لأبنائه ، فقدروا هذا الوفاء حق التقدير .

قال مقداد لزوجته : كنت قلقا يا أم ضرغام من شهوة الملك فالملك محسن محبوب من الشعب والأمة، ومقبول وهو فارس الميدان، وباني للمدينة من جديد .. ففي عهده كبرت المدينة ، وزادت الأسواق والجيش والشرطة .. كنت قلقا أن تراوده نفسه في البقاء ملكا وسيدا ..

قالت الأم : رحم الله ضرغاما كان محبا لأخيه غاية الحب.. رافقه في صباه وفي انتقامه ، وهو كما يقال في المثل لا ناقة له ولا جمل سوى أن أخاه مظلوم .. محسن ابن بار ووفي لأخيه معدنه نفيس.. وسمعته كثيرا يردد لي " متى يكبر عمرو؟ الحكم وقيادة البشر من الأشياء الشاقة .. أتعجب يا أمي من جلوسي في ديوان الحكم لأسمع أنين الضعفاء .. ولكنها إرادة المولى تعالى ، فنحن تعودنا على حياة البساطة .. لم يخطر في بالي يوما أن أكون أميرا.. فكيف بملك ؟! عندما كشفت أمي جديلة السر .. أصبت بالذهول أن يكون صديقي ابن ملك .

قال الوزير: النفس أمارة بالسوء.. هو سيعتزل ويعتكف في قصره .. فقد عرضت أن يصير الوزير مكاني .. فأبى وقال ضاحكا : الوزير حتى الممات .. سأقضي ما بقي لي من العمر في بيت الله وقراءة الكتب .. فهو محب للعلم ، وقد جمع عددا كثيرا من كتب العلماء والحكماء .

بدأت الوفود تفد على البلاد للمشاركة في حفل تنصيب الأمير عمرو ملكا على المدينة ، وصل الملك زاهر ووفد بلاده ، فاستقروا في قصر الأضياف، والتقى الملك محسن به في جلسة عائلية على عشاء، وكانت معه زوجته الأميرة درة بنت حسن غاب ، والتي التقى بها الملك محسن لأول مرة في غابات شيخ عسير فانبسط لها الملك وقال مداعبا : كيف الحياة مع الملك زاهر؟!

فهمت إشارة الملك وابتسمت وقالت : الحياة جميلة يا مولاي الملك! ونحن نجملها .. أنا ما طمعت بالزواج من الشيطان.. لكن زواجي من الملك زاهر كان مفاجأة عظيمة لي.. أنا سعيت لبيان موقف شقيقتي من قصة مقتل مولاي الملك دغفل .. وهو يعرف أنني لا أنجب

وقبلني جارية في تاج ملكه .. وأنا أدعوه أمامك يا مولاي ليتزوج ليكون له خليفة .. فيقول سوف أتسرى في يوم من الأيام .. ولما سمع باعتزالك الملك وهو يفكر بهذا .

ضحك الملكان وقالت زوجة الملك شقيقة الملك زاهر الأميرة شفق : أنا لما علمت بقبول ابن أبي الجلوس على عرش أبيه دهشت بحق .. فكلنا يعرف حياة الأمير حق المعرفة .. فهو محب للعبادة والصلاة حتى لقب بالعابد منذ صغره .

فابتسم الملك زاهر وأجاب : أنا نفسي دهشت !.. لا أدري كيف قبلت التاج ؟! .. فالذين نصبوني قالوا أنت الابن البكر لأبيك ، ولا يجوز ترك التاج حتى لا تحدث فتنة في البلاد ، ويحدث صراع بين الأخوة أو الأعمام فالقانون أن الابن الأول للملك الميت يحكم إلا إذا كان مجنونا غير عاقل .. فهذا سبب قبولي بالحكم والملك .

وقد جاء المدينة الملك الشيخ حس غاب ، ووفد من بلاده وصحبته ابنته نهيلة التي بعد عودتها لبلادها أخذت تنزوي عن السهرات والحفلات والمجالس .. ولما تقابل محسن معه عانقه وقبل يديه لمجيئه لحضور هذه الحفلة .

وتوافد الشعراء والخطباء للمشاركة في هذه المناسبة الملكية ، وتغنى الشعراء بمناقب الملك محسن وشجاعته وتنازله عن العرش بطيب نفس وقد سالت الدموع عند ذكر الكثير من المواقف في حياته وصداقته للملك الراحل ضرغام .. وتمنى الشعراء والخطباء للملك الصاعد عمرو بن ضرغام العمر المديد والنجاح في حكم المدينة الكبيرة .

وقامت مسابقة للفرسان على الخيول ، ومبارزات للفرسان ، واستمرت الاحتفالات سبعة أيام بلياليها ، وقدم الطعام كل يوم للناس حتى جاء يوم الجمعة ، وبعد الصلاة أعلن الملك محسن تنازله عن الحكم لابن أخيه الملك عمرو

ثم صعد الملك الشاب على منصة الخطاب ، وحيا الناس وأثنى على عمه الملك محسن الثناء الحسن ، وأكبر شجاعته في ترك الحكم بسلام .. وذكر جدته سيرة ودورها في إخفاء ابنها الوحيد خشية قتله في تلك الظروف .. وشكر الوزير مقداد الذي عمل سرا وخفية لعودة

الملك لأهل البلاد .. وذكر عم أبيه الخائن طل ثم أعلن أنه عفى عنه، وأمر بإخراجه من السجن بهذه المناسبة ، وتمنى أن يكون أهلا لتحمل المسؤولية ، ويراعي حق الشعب والناس .

وبايع الناس الملك عمرو بن ضرغام ملكا على المدينة وخرج من المسجد تكتنفه العلماء والسادة والضيوف الأكابر.. والأجناد يصطفون بصفين أمام المسجد على صهوات الجياد، وظلوا يسيرون حتى وصلوا قلعة الحكم، القلعة التي شيدت في عهد والده .

وكان هناك حشد النساء والأميرات في استقبالهم والتبريك له بالملك.. ولما وصل باب القصر نزل عن الجواد وتقدم من جدته الملكة سيرة وعانقها، ورفع يدها مع يده عاليا للوفود والضيوف وأخذت النساء تهتف للملك الجديد .

ولمح من بينهن الأميرة سيرة شقيقة عمه محسن ، فسعى إليها محييا وقال: إني أبحث عنك يا عمة، وقبل يدها أمام دهشة الحاضرين ، فشكرته الأميرة وقبلت رأسه وباركت له الملك .

ثم دخل القصر لإكمال حفل التتويج في ساحة القلعة ، وغمر الفرح سكان القلعة وجلس الملك على عرش نصب له ، ثم تقدم الوزير مقداد وهنأه بالملك ، وتقدم الملك محسن وفعل مثل الوزير ، وعاد الوزير للكلام فقال " اعلموا أيها الأسياد الكرام أن الملك عمرو بن ضرغام سيتزوج الأميرة سماء بنت سالم وبنت الأميرة سيرة بنت جدي شقيقة الملك العظيم محسن بن جدي"

وتقدمت الأميرة سماء من الملك وصافحته أمام الحشد، والتفت نحو الجمع وقالت " أنا الأميرة سماء بنت سالم أعلن أمامكم قبولي بالزواج من الملك عمرو بن ضرغام .. ابن خالي الملك ضرغام بن مطر "

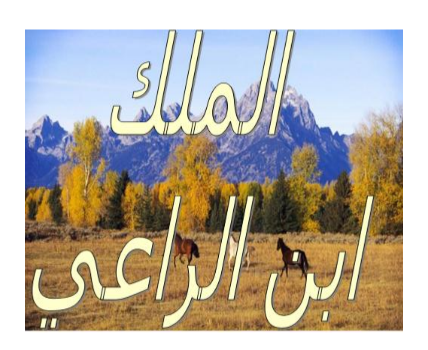
فقال الملك محسن : على بركة الرب أيها السادة الكرام ، وستبدأ الاحتفالات غدا بوجود كل الضيوف الكرام وسيكون الزواج بعد ثلاثة أيام .

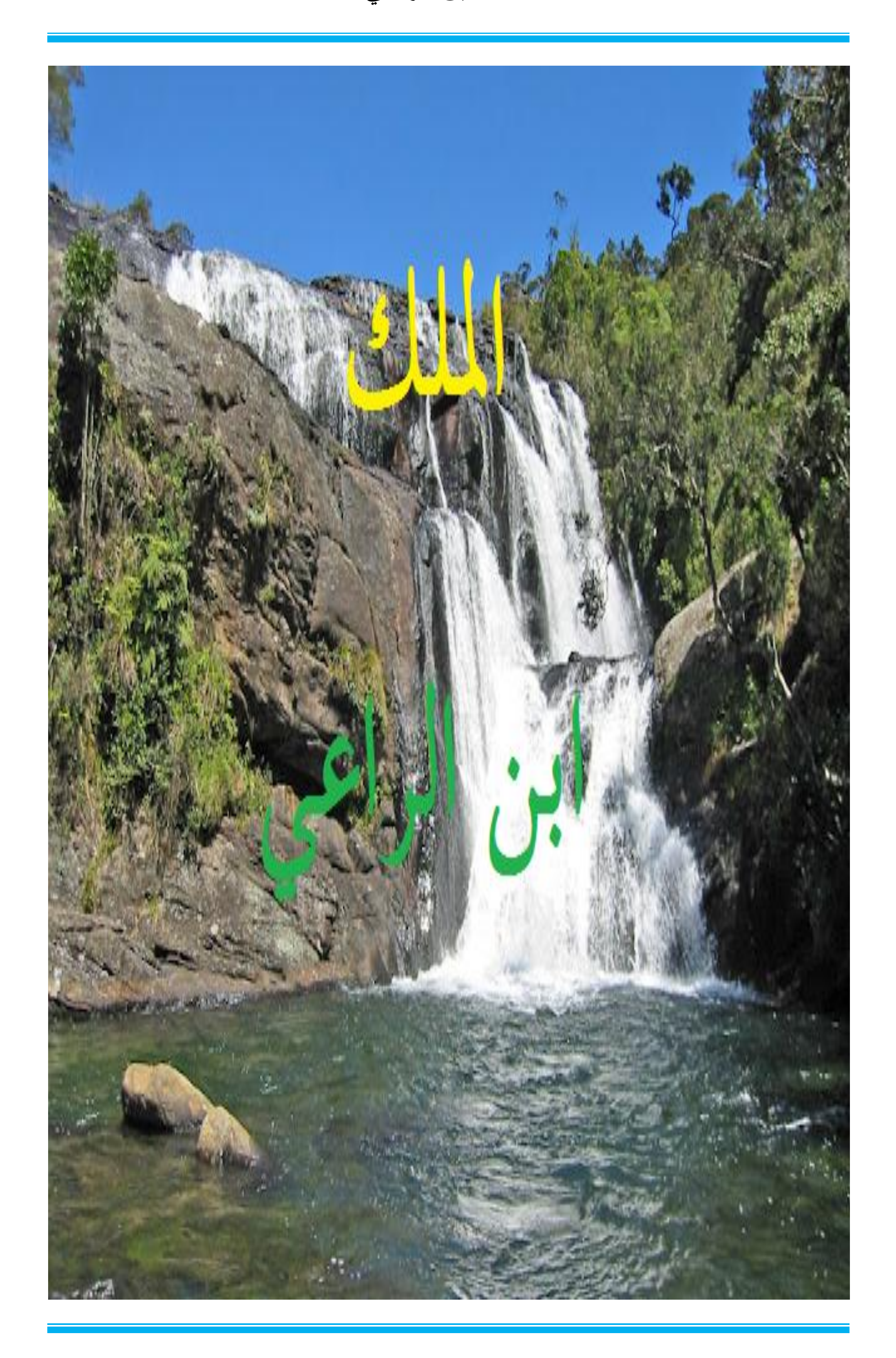
وتقدمت الأميرة سيرة ، وقبلت ابنتها وزوجها الملك عمرو .. وفعل مثلها الأمير سالم زوج الأميرة سيرة بنت جدي .

ومشت الأميرة سماء إلى الملكة الكبيرة سيرة وقبلتها ، وانتقلت إلى أم عمرو التي كانت جارية الملكة سيرة في يوم من الأيام .

وتعانقت المرأتان سيرة أم سماء وأم عمرو وهما تبكيان .

تمت بفضل من الله تعالى




الملك
ابن الراعي

قصص وحكايات الفوارس

مغامرات وخيال وأحلام وأخلاق وأخيار وأشرار وفرسان وشجعان

كل هذا وغيره تجده وتقرأه في هذه السلسة من القصص

الممتعة والمثيرة والمسلية

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك